«الهدف» تحاور الشاعر المغربي إدريس علوش

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

الهدف

AL - HADAF

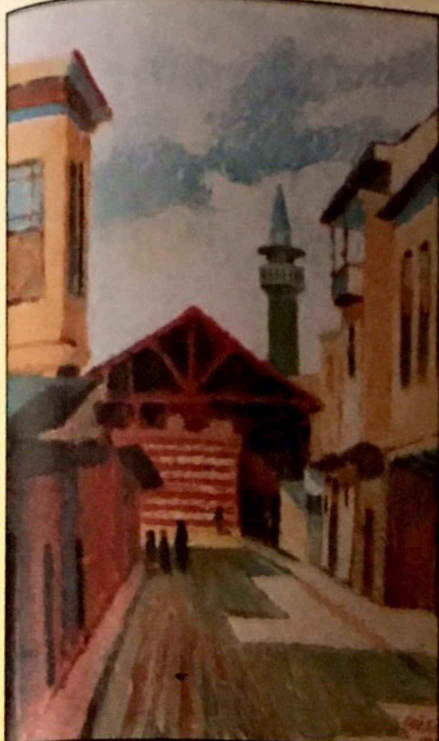


الثوابت عصية على شروط القنوات السرية

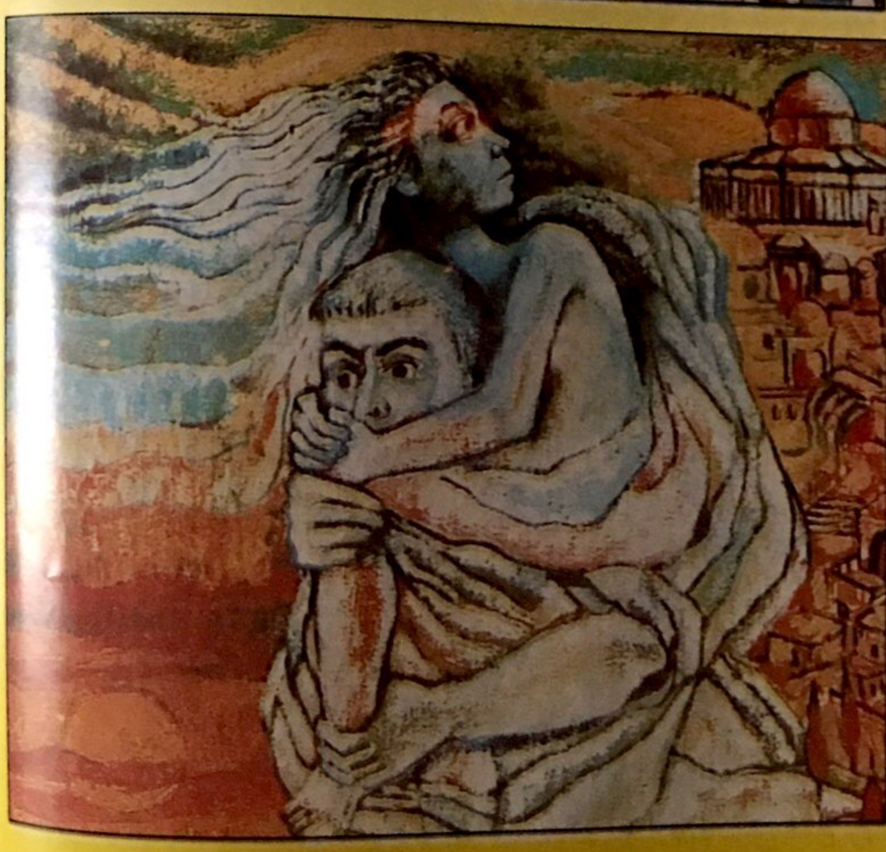
أي نوع من الاتفاقات ما يخطط له؟

دمشق القديمة.. والطبيعة.. وفلسطين في أعمال التشكيلي غازي الخالدي برؤية بصرية وجمالية جديدة

علي الكردي







دمشق القديمة، بأحيائها، وبيوتها، ونسيجها المعماري والطبيعة السورية المتنوعة.. وفلسطين كقضية شعب وإنسان هي ثلاثة مواضيع عالجها الفنان التشكيلي غازي الخالدي برؤية جمالية وبصرية جديدة، وباستخدام تقنيات متنوعة، وذلك في لوحاته التي استضافتها غاليري «السيد» بدمشق مؤخراً.

يقول غازي الخالدي: أنا لا أرسم البيت الدمشقي، أو الحارة الدمشقية كمنظر طريف، أو غير مألوف.. هذا الأمر، لايشغل بالي، ما يشغل بالي هو كيفية الخروج بأكثر من لوحة في مجال تجريد الرؤية البصرية لهذا المنظر، وقد أجريت مجموعة من الدراسات حول هذا الموضوع كانت أساس أطروحة الدكتوراة التي حصلت عليها من كلية الفنون الملكية البريطانية وهي تعتمد على ثلاث نقاط أساسية أولها: مساحات الضوء التي يشغلها هذا الحيّز من الألوان في الحارة الدمشقية الذي أجزّده وأفصله لوحده لأصل إلى لوحة تجريديةٍ قائمة بذاتها، وثانياً لا أكرّر اللون إطلاقاً، ولا أعتمد على صورة مسبقة التصميم، وكذلك اللوحة بالنسبة لي هي تأليف وليست تصويراً أو تسجيلاً للواقع، فأنا أحوّل الضوء بما يخدم تكوين اللوحة، وألوّن الجدار عدة ألوان حتى أخرج بلوحة لها قيمة جمالية وفنية وتشكيلية عالية.

وحول حضور فلسطين بشكل دائم في أعماله يقول الخالدي: الدافع هو شعوري العميق بالهرولة البشعة لمسح وإنهاء كل شيء يتعلّق بفلسطين، فأنا لست متفرجاً ولا حيادياً تجاه هذه القضية، فهي باللاشعور تسكن في أحلامي وذاكرتي لكن الشيء الأهم أنني لا أريد عملاً استعراضياً، أو إعلانياً أو مباشراً في طبيعته الخطابية لذلك ألجأ إلى الرمز، فالرجل يحمل إمرأة معاقة، والأم تحمل طفلة في زوبعة هواء كدلالة على الضياع في العام ١٩٤٨، فكانت الألوان هي ألوان النكبة، في لوحة ثانية أرسم ألوان الريح والضياع في العام ١٩٦٧، وفي لوحة ثالثة أركّز على ولادة الإنسان العربي في حرب تشرين ١٩٧٣، فعلى الأقل استطاع الإنسان العربي أن يقول: لا، ويحرر إرادته من الخوف.

الحركة واللون والتقنية في هذه اللوحات تحمل مدلولات تعبيرية.. هذا الأمر لايوجد في اللوحات التي رسمتها عن دمشق القديمة أو المناظر الطبيعية، ورغم أن الأسلوب واحد في كل اللوحات (لأن الأسلوب يعبّر عن هوية الفنان) إلا أن التقنية وشكل التعبير يختلفان بين لوحة وأخرى.

رهانات باراك تتحطم

على صخرة الصمود السوري اللبناني

أخيراً.. إذن قررت حكومة العدو الصهيوني ليس فقط الاعتراف بالقرار ٤٢٥ القاضي بانسحاب جيش الاحتلال الإسرائيلي من الجنوب اللبناني وإنما أيضاً تنفيذ هذا القرار. الأكيد أن قرار حكومة باراك لم يأت على الإطلاق في سياق نية إسرائيل إحترام القانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية ومبادئ الأمم المتحدة، وإنما جاء نتيجة طبيعية للمقاومة الوطنية الباسلة التي خاضها الشعب اللبناني على مدى سنوات طويلة أقنعت إسرائيل وأجبرتها على الاعتراف بفداحة الخسائر التي عليها تقديمها إذا أصرّت على مواصلة الاحتلال والعدوان.

لكن المسألة لاتقف عند حدود الهزيمة العسكرية التي مني بها (النساهال) وإنما يتجاوزه أيضاً إلى ساحات المكر الإسرائيلي، حيث راهنت إسرائيل وتراهن على مسائل عدة بسعيها المفضوح لإثارة فتنة داخلية لبنانية، معتقدة أن لبنان اليوم هو لبنان ذاته في السبعينات، ومراهنة من جهة أخرى على محاولة فصل تلازم المسارين السوري واللبناني، معتقدة أنها بهذا تضعف سوريا من خلال سحب ما يسمى بورقة الجنوب اللبناني. لاشك أن باراك قد أخطأ في حساباته مرتين مرة باعتقاده أن الانسحاب بدون اتفاق هو مشكلة للبنان وفي هذا وهم كبير، فاللبنانيون طالما أعلنوا أن إسرائيل دخلت الجنوب بدون إذن وعليها الخروج كذلك بلا قيد ولا شرط وكذلك سوريا التي أعلنت مراراً أن على إسرائيل الإنسحاب والرحيل بدون قيد أو شرط.

وأخطأ باراك مرة أخرى باعتقاده أن من الممكن فصم عرى التحالف العربي النضالي الصامد بين سوريا ولبنان باعتبار أن سوريا حسب أوهامه تستمد قوتها مما يسمى ورقة لبنان، بينما المسألة التي فاجأت باراك هي عكس ذلك تماماً فسوريا صامدة بسياستها الواضحة الراسخة على متاريس خطوطها الحمراء وتمسكها بثوابتها غير القابلة للمساومة، والانتصار اللبناني في الجنوب هو انتصار واضح لسوريا التي وقفت بكل طاقاتها وإمكانياتها إلى جانب المقاومة اللبنانية.

لذلك فإن قمة جنيف بين الرئيسين حافظ الأسد وبيل كلينتون لم تؤدِ إلى استئناف المفاوضات على المسار السوري، لأن الرئيس الأمريكي إرتضى أن يكون مجرد ناقل للتعنت الإسرائيلي ولم يمارس دوره في الضغط على إسرائيل لكي تنصاع لقرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية وتعلن إلتزامها الواضح بالانسحاب لحدود الرابع من حزيران ١٩٦٧.

إن المحاولات الأمريكية والإسرائيلية لاظهار أن سوريا أفشلت السلام هي محاولات خائبة ومخادعة تحاول تغطية الشمس بغربال، لأن ممارسات إسرائيل تقضمها سواء على المسار الفلسطيني حيث تطالب كل يوم بمزيد من التنازلات وترفض الانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة وتواصل سياسة توسيع المستوطنات أو في انسحابها من لجنة تفاهم نيسان وتوتير الأجواء على الجبهة اللبنانية أو إطلاق حملة استيطان في الجولان المحتل.

إن إسرائيل تحاول ممارسة الضغط على سوريا، التي أعطت نموذجاً في السياسة المتمسكة بثوابت الحق والعدل. وعندما تقول الإدارة الأمريكية أن الكرة الآن هي في الملعب السوري فإنه ينبغي القول بأن حقيقة الأمر هو أن الكرة كانت ولازالت في الملعب الأمريكي الذي يساند إسرائيل ولايمارس أية ضغوط جدية لإلزامها بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

لاشك أن إسرائيل تحاول ممارسة اللعب على مسارات التفاوض، لكن ألاعيبها باتت مكشوفة لأنها لاتعمل إلا لتحقيق مصالحها وأهدافها العدوانية على حساب جميع العرب وحقوقهم العادلة.

إذن هل هناك وقت لدى كلينتون ليعيد حساباته قبل رحيله، الأكيد أنه يرغب بترك سدة الرئاسة الأمريكية وقد حقق إنجازاً يظهره كبطل للسلام، لكن هذا الإنجاز لن يتحقق إن لم يتم إدراك أن السلام لايمكن أن يقوم دون استعادة الأرض والحقوق.

«الهدف» ٢٣ نيسان ٢٠٠٠ ـ العدد ١٣٠٥
السنة الحادية والثلاثون ـ الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1305 - 23/4/2000



AL - HADAF
سياسية عربية - تصدر مؤقتاً كل أسبوعين

رئيس التحرير
د. ماهر الطاهر

سكرتير التحرير
خليل جنداوي

مدير الادارة
محمد خير الاسعد

المدير الفني
زهدي العدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل/ سوريا ٢٠ ل.س/ الأردن ٥٠٠ فلساً/ العراق ١٠ د.ع/ الإمارات ١٠ درهماً/ الجزائر ١٥ ديناراً/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١.٢٥ د.ت/ صنعاء ١٥ ريالاً/ السودان ٦ جنيها/ المغرب ١١ درهماً/ أمريكا وكندا ٣ دولار/ ألمانيا ٥ ماركات/ اسبانيا ٣٠٠ بيزيته

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها أجور البريد
سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والأردن ٣٠ دولاراً/ بقية الدول العربية ٥٠ دولاراً/ اوروبا ١٢٥ دولاراً/ اسيا وافريقيا ١٠٠ دولاراً/ الامريكتين واستراليا ١٥٠ دولاراً.

☆ يتم الاشتراك بارسال اشعار الإيداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي: بنك بيروت والبلاد العربية.
شتورا ـ لبنان.
رقم الحساب AC.NO.22094

☆ او بارسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق/ ص ب ٣٠١٩٢

المكاتب

دمشق: ص.ب ٣٠١٩٢
دمشق: ٦٣٢٨٢٦٧ ـ ٦٣١٩٣٧٤
بيروت: ٣٠٩٢٣٠/ عمان: ٩٩٦٣٤٠
الجزائر: ٥٩٤٥٤٨ ـ ٣٨٤٣٠٤
بغداد: ٧١٩١٦٢٢ ـ ٧١٧٤٧١٠
صنعاء: ٢٠٥٨٤٩

• التوزيع في الجمهورية العربية السورية:
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• التوزيع في المغرب:
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف.

كلمة

لم ينته يوم الأرض هذه السنة في يوم واحد فقط، كذلك لم يمر كذكرى ومناسبة يحتفل بها شعبنا ثم تنقضي ليحضر لغيرها.. ٣٠ آذار ٢٠٠٠ لم يأت فقط ليذكرنا بالانتفاضة الأولى التي اندلعت قبل ٢٤ عاماً دفاعاً عن الأرض الفلسطينية، بل ليشعل انتفاضة جديدة دارت رحاها في معظم الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨.. من الجليل وحتى بئر السبع مروراً بحيفا وعكا واللد...

يوم الأرض ٢٠٠٠ خرجت الجماهير الفلسطينية لتدافع عن أرضها، متصدية لمشروع «شارع عابر إسرائيل» الذي سيصادر الكثير من الأراضي التي مازالت بحوزة الفلسطينيين... يوم الأرض ٢٠٠٠ الجماهير الفلسطينية تظهر للعالم زيف الديمقراطية الإسرائيلية المصممة لليهود فقط، أما للبقية فهي دولة البوليس بدون مكياج أو قفازات ناعمة.

شهيدة تسقط واعتداءات بالضرب على الطلبة ومن جاء للتضامن معهم، تطول حتى عضو الكنيست عزمي بشارة الذي تلقى في مظاهرة سابقة طلقة مطاطية في جسده من الشرطة، وهذا طبعاً لايمكن أن يحصل لعضو كنيست صهيوني أو حتى يهودي دون أن تقوم الدنيا ولا تقعد في الدولة العبرية.

كان من اللافت أن يرفع المتظاهرون الأعلام الفلسطينية، فهذا يؤكد مرة أخرى وللأبد وحدة الشعب في كل أماكن تواجده، وهذا ما أثار ذعر الكيان الذي حسب ما تكتب صحافته العبرية يراقب منذ فترة «صحوة وطنية» في صفوف فلسطينيي الـ ٤٨.

نعم إنها صحوة وطنية، أكدتها جماهير شعبنا وأظهرها استطلاع للرأي نشر بمناسبة يوم الأرض ويتبين من خلاله أن غالبية جماهير شعبنا في الأراضي المحتلة عام ٤٨ يعتبرون أنفسهم فلسطينيين، بينما ١١٪ قالوا أنهم من «عرب إسرائيل» و٤٪ فقط قالوا أنهم «إسرائيليون».. كل هذا يعني ببساطة أن كل السياسات التي اتبعها الكيان الصهيوني على مدى نصف قرن لعزل هذا الفرع الجماهيري الغالي عن أصله قد فشلت.. نهائياً.

موضوع الغلاف:



الثوابت عصية على شروط القنوات السرية
أي نوع من الاتفاقات ما يخطط له؟
صفحة ٦

في هذا العدد

شؤون فلسطينية

شؤون عربية

شؤون دولية

الهدف الثقافي

مرايا هذا الزمان

- خليل جنداوي -

بين فيتنام والحكمة الصينية.. هل نعرف أنفسنا حقاً؟

ما إن يرد اسم فيتنام في أي موضوع أو قضية حتى يتبادر فوراً لأذهان الكثير منا صورة انتصارهم العظيم على الأمريكيين... هكذا وبدون مقدمات فإن مجرد لفظ كلمة فيتنام يستدعي مباشرة منظر الجندي الأمريكي مهزوماً وقد اتسخت سحنته وتلطخت بالطين، وربما وضع عصبة طبية على رأسه أو ضمَّد يده وربطها إلى عنقه، وباختصار سقطت عنه كل ملامح العنجهية والغرور التي اعتاد أن يظهر بها في كل مكان نجده فيه..

بالنسبة لي شخصياً فإن الحديث عن الانتصار الفيتنامي يذكرني فوراً بلقطة خالدة لاتُنسى، كررتها هوليود في اكثر من فيلم، وهي تروي اللحظات أو الساعات الأخيرة في حرب فيتنام..

سايغون عاصمة الجزء الجنوبي من فيتنام والذي كان يُعرف آنذاك بفيتنام الجنوبية في نهار نيساني حار من العام ١٩٧٥.. دبابات ترفرف عليها رايات حمر تقتحم المدينة من اتجاهات عدة ولاتكاد تجد مقاومة تُذكر.. الترقب والحذر يسودان معظم أجزاء سايغون، أما البقية فقد عمتها مشاعر الفوضى والارتباك.. توجد ملامح فرح في بعض الأحياء التي وصلتها الدبابات وإن كانت الكاميرات الأمريكية حاولت إخفاءها أو حتى تجاهلها.. الشوارع الباقية فارغة إلا من بعض الذين يركضون.. المكان الأكثر ازدحاماً وارتباكاً وفوضى في المدينة هو مبنى السفارة الأمريكية الذي تحوّل إلى ما يشبه المطار الصغير حيث تتابعت حركة الحوامات صعوداً وهبوطاً لترحيل ما تبقى من أمريكيين مدنيين وعسكريين وبعض من حالفهم الحظ من كوادر النظام العميل الذي تهاوى، لتوصلهم إلى سفن الأسطول الأمريكي المرابط في عرض البحر.. وأخيراً تصل الدبابات المسرعة إلى هذا المكان ولتقلع الهليوكوبتر من ساحة السفارة وسط صراخ من تركوا على الأرض ليواجهوا مصيرهم.. كان من الواضح أن هذه هي الرحلة الأخيرة وأن الأمريكيين غادروا للأبد...

وهكذا اكتمل النصر الفيتنامي العظيم، واضعاً نهاية رائعة لحقبة كئيبة من تاريخ هذا البلد، لم تتوقف خلالها الحرب على مدار عدة عقود، بدأت مع مقاومة المستعمر الفرنسي، ورغم الانتصار عليه ودحره في معركة ديان بيان فو ثم طرده من فيتنام، إلا أن المعارك استمرت بل وزادت حدتها وكأن القدر كان يخبئ للفيتناميين حرباً أشد ضراوة مع عدو جديد أشرس كثيراً من سابقه.. كان على الشعب الفيتنامي أن يحارب لسنين طويلة أخرى وأن يقدم ما بين مليونين وثلاثة ملايين ضحية حتى يطهّر الأرض الفيتنامية من القوات الأمريكية التي حاولت أن ترث أوروبا العجوز في هذه المنطقة من العالم.

بعد أيام من دخول العاصمة الجنوبية توج الفيتناميون نصرهم بالإعلان عن ولادة جمهورية فيتنام الموحدة وغيّروا تسمية سايغون ليطلقوا عليها اسم قائدهم الراحل وملهم ملحمتهم الخالدة هوشي منه..

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هنا: ما الذي يمكن أن نشعر به نحن العرب عموماً والفلسطينيون خصوصاً حين سنشاهد الفيتناميين يوم ٣٠ نيسان الجاري وهم يحتفلون بالذكرى الـ ٢٥ لانتصارهم الكبير؟ ربما الحسد.. ربما الغيرة.. وربما النقمة على واقعنا الذي يفرّخ هزائم.. وربما اللامبالاة.. لكن المؤكد أن الكثير منا ستصيبهم نفحة ولو صغيرة من الأمل بأن ما شهدته فيتنام قبل ربع قرن قد يتحقق في منطقتنا يوماً ما ولو طال الزمن.. من ينسى الشعارات الكبيرة التي تردد صداها بقوة من المحيط إلى الخليج قبل عقود فكتبناها على قمصاننا ودفاترنا: «اليوم فيتنام وغداً فلسطين»، «هانوي العرب»..

هذا الأمر يحيلنا لسؤال آخر بدأ يبرز منذ سنوات: هل النموذج الفيتنامي قابل للتكرار في هذا الزمن الأمريكي؟.. قد يقول البعض أن النصر الفيتنامي حصل في لحظة تاريخية خاصة جداً تكاد تكون فريدة من نوعها، حيث القوة السوفيتية كانت في أوجها، كذلك فإن القادة الفيتناميين استطاعوا ببراعة أن يقفوا في المكان المناسب إزاء الخلاف الصيني ـ السوفيتي، وأنهم بذلك نجحوا في دفع العملاقين الشيوعيين للتسابق لتقديم الدعم لهم.. بينما يعيش العالم الآن تحت وطأة القطب الأمريكي الواحد.. من جهتي أعتقد جازماً أن النموذج الفيتنامي قابل للتطبيق والتكرار في كل الأزمنة، فمادام الفيتناميون قد فعلوها مرة، فهذا يعني أن مثل هذا النصر يمكن أن يتحقق مرة ثانية وثالثة ورابعة بشرط توفر العوامل والمقدمات المناسبة لذلك، فضلاً عن ذلك فإنه رغم أهمية الدعم الخارجي لفيتنام إلا أن القوة الحقيقية المحركة لعجلة النصر كانت داخلية بامتياز.. فلو فرضنا جدلاً أن الأمريكيين نجحوا بطريقة ما وقتها في إيقاف الدعم السوفيتي والصيني لفيتنام، فلاشك أنهم بذلك كانوا سيضعفون القوة الفيتنامية كثيراً، لكن هذا ليس معناه إنهم سينجحون في إيقاف حركة التاريخ هناك، ربما أبطؤوها وبالتالي أبعدوا شبح الهزيمة عنهم لبضع سنوات، لكن من المؤكد تماماً أن النصر الفيتنامي كان سيأتي في آخر المطاف..

الحديث عن النصر الفيتنامي يقلّب المواجع فينا ـ وما أكثرها.. فهو قبل كل شيء يعري خيبتنا ويكشف عمق الهوة التي نتخبط فيها مع كل الهزائم المتكررة التي منينا بها فحملناها على أكتافنا كمن يتأبط صليبه.. كل هذا يذكرني بكلمة شهيرة قالها المفكر العسكري الصيني سون تسو في كتابه «فن الحرب» الذي كتبه قبل حوالي ٢٦٠٠ سنة (في القرن السادس قبل الميلاد) حيث قال: «إذا كنت تعرف عدوك وتعرف نفسك فلاداعي لأن تخشى خوض مائة معركة، وإذا كنت تعرف نفسك ولاتعرف عدوك فسوف يكون مقابل كل نصر تحرزه هزيمة، أما إذا كنت لاتعرف عدوك ولاتعرف نفسك فسوف تهزم في كل المعارك»..

هل يعرف العرب أنفسهم؟ بالله فليجبني أحد..

الذي ينظر للمرآة ولايشاهد فيها إلا ما يحب أن يرى.. هذا لايعرف نفسه..

الحدث

الثوابت عصية
على شروط القنوات السرية

ما الذي يمكن أن ينتج عن "طواحين الهواء" وجولات العصف الفكري" وجلسات "الدردشة" في قاعدة بولينغ الجوية قرب واشنطن؟

للوهلة الأولى يبدو ما يحدث هناك، بمعزل عن الأضواء، تكراراً لمسرحية لم نعد نرغب بمشاهدتها، ونحن هنا نكرر الذات، حيث سبق أن استخدمنا هذا الوصف ولكن إعادة الأمور إلى لوحتها الأم، ومصادرها الأساسية ضمن شبكة متكاملة لما يسمى مسيرة "السلام" و"أقواس النصر في أوسلو،هذه الإعادة، كفيلة بتخليصنا من أوهام التجديد وآمال الانفراج القريب.

السؤال أعلاه يكتسب خطورته من أكثر من مكان، متجاوزة الإجابة البسيطة بـ" لاشيء". وأن الأمور ستبقى على حالها فهذا الـ"لاشيء" إنما هو في الحقيقة كشف خطير عن المأزق، وفضح لفراغ الاتفاقات وجدواها.

أي نوع من الاتفاقات ما يخطط له؟

أحمد جابر

أحد الأجوبة الممكنة أن ما يحدث هو مضيعة للوقت،وتكريساً لأمر واقع في نهب الأرض وإطلاق قطعان المستوطنين ليرسموا الخرائط بأنفسهم وبمباركة" حمامة السلام" باراك، انتهاء بالاحتمال الأخطر والذي يكتسب جديته يوماً بعد يوم، أن يأتي الجواب من قناة سرية يتحدث عنها الجميع، بالكلمات أو الصمت، وهناك أكثر من مؤشر.

عندنا أولاً تجربة سابقة مريرة مع هذه القنوات المشبوهة التي أنتجت أوسلو وما أدراك ما أوسلو، و عندنا ثانياً السجال المعلن بين الرئيس و مفاوضه الأهم الذي أشار إلى الاقتراحات الإسرائيلية حول عرض بتسليم كانتونين في الضفة لإعلان الدولة مقابل القدس، فنفى الرئيس مثل هذا العرض، دون وجود سبب واضح لهذا التكذيب العلني!! مع العلم أن المفاوض قد رفض العرض المزعوم. عندنا أيضاً تأكيدات الإسرائيليين وهي نادراً ما تكون كاذبة في هذه المجالات. إذن، وبما أنه لاشيء في بولينغ للتحدث عنه فإننا سنعمل على رسم ما يخطط له سراً (بافتراض موافقتنا على نظرية القناة السرية) لنفحص مؤشرات واحتمالات وعوامل أي اتفاق ممكن.

نشير في البداية، إلى أنه وفي هذه المرحلة من التفاوض فإن أي اتفاق يتم الإعداد له سراً أو علناً، لا يمكن أن يتجاهل القضايا الأساسية و خصوصا القدس واللاجئين والاستيطان وبالتالي سنفحص المواقف الآن ومطالب التنازل من الجانبين، في محاولة استباقية لجس حجم الكارثة القادمة على الشعب الفلسطيني في حال تم تجاوز الخطوط الحمر حول هذه القضايا.

لاشك أن قضية الاستيطان تكتسب أهمية متجددة ومتصاعدة على ضوء الهجمة الخطيرة لحكومة الإرهابي باراك والتي تجاوزت كل البرامج وكل ما أقدمت عليه أي حكومة صهيونية بما في ذلك حكومة نتنياهو سيئ الصيت.

وتعمل حكومة باراك على إطلاق هذه الهجمة لعدة أهداف: لعل أولها الضغط على الجانب الفلسطيني لدفعه لعقد اتفاق بأي ثمن لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ومن مظاهر هذه الهجمة البدء ببناء 350 مسكناً قرب إفرات جنوبي بيت لحم، وعودة المستوطنين إلى بعض البؤر العشوائية التي كان قد تم إخلائهم منها.

الهدف الثاني استمرار تقطيع أوصال الضفة الغربية عبر محاصرة المناطق العربية لتحويلها إلى معازل مفصولة عن بعضها لمنع أي تواصل جغرافي، وبالتالي وضع عقبات جدية أمام توفير أحد أهم شروط الدولة الفلسطينية الموعودة نعني الوحدة الإقليمية، مما يحول الواقع الجغرافي فعلاً إلى بحر من المستوطنات يضم جزراً عربية بدلاً من أن يكون العكس هو الصحيح.

وينعكس هذا واضحاً في الأرقام حيث لم تتجاوز نسبة ما استرده الفلسطينيون سواء على شكل سيادة كاملة أو جزئية الـ43,9% من أراضي الضفة في حين كان المفترض استعادة 91% قبل الدخول في المرحلة الأخيرة من الحل النهائي حسب الاتفاقات المؤقتة.

وينعكس أيضاً في الأرقام الخاصة بالاستيطان التي أعلنها الرئيس عرفات حيث أقامت حكومة باراك 7128 وحدة خلال تسعة اشهر وهو رقم يتجاوز الأنشطة الاستيطانية لحكومة نتنياهو خلال ثلاث سنوات.

والهدف الثالث هو القدس حيث يندفع الصهاينة إلى بيت لحم وباقي الضفة والعين على القدس في محاولة لدفع الفلسطينيين للتنازل في المدينة المقدسة مقابل (التساهل) الإسرائيلي في المناطق الأخرى.

الموقف الفلسطيني المعلن حول هذه المسألة جيد وغير كاف، ويخشى أن الرد الكلامي والاحتجاج اللفظي المتواصل لن يجدي نفعاً أمام العنجهية الصهيونية والمطلوب هو رفع حالة التأهب الجماهيري لخوض معركة شعبية شاملة ضد المستوطنين والاستيطان وصولاً إلى دفع كل مستوطن للتفكير أكثر من مرة قبل أن يقرر الاستقرار على الأرض الفلسطينية، إيصال رسالة واضحة بأن وجودهم على الأرض الفلسطينية لن يمر بسلام، أنهم لن يكونوا آمنين (هنا)، إن الصراع على الأرض لا يحتمل تضييع الوقت، فالمسألة هنا تحسب بالأمتار والسنتمترات وليس بالمذكرات والوثائق.

إلى قضية الاستيطان التي تهدد بتفجير شامل على الأرض، تأتي القضية الاستراتيجية الثانية(في سياق السرد)، نعني قضية اللاجئين الذين تصر إسرائيل على عدم الاعتراف بحقهم في العودة وبمسؤوليتها عن مأساتهم.

وتتكاثف هذه الفترة المؤامرات على قضيتهم والعمل على تجاوزهم عبر دفع الجانب الفلسطيني للتنازل في موضوعهم مقابل مكاسب



تتعلق بمواضيع الدولة والأرض، ومن هنا تأتي التسريبات حول استيعاب كندا لعدد من اللاجئين والتسريبات حول التوطين في العراق، والعواصف التي تثار حول وضع الفلسطينيين في لبنان وغيرها.

ولاشك إن المطلوب الآن من الجانب الفلسطيني عدم التراجع بتاتاً أمام أي ضغط إسرائيلي أو أمريكي أو دولي باتجاه موضوع اللاجئين، واعتبار حقهم المطلق في العودة إلى بيوتهم ووطنهم وأيضاً حقهم الأكيد(إلى جانب العودة) بالتعويض، هي حق مقدس غير قابل للمساومة أو التفريط وأنه خط أحمر لا يمكن التراجع عنه.

إن قضية اللاجئين هي العنوان الأكبر والنتيجة الأكثر مأساوية للكارثة التي أصابت المجتمع الفلسطيني عام ،1948 وأي حل نهائي لا يمكن أن يقفز على هذه النتيجة لأنه في هذه الحال سيبقى الصراع مفتوحاً على احتمالات كبيرة وستتواصل حالة الاشتباك مع الإسرائيليين عربياً وفلسطينياً، لأن ثمن السلام لا يمكن أن يكون على حساب 4 ملايين ونصف المليون لاجئ فلسيني مشردين في أصقاع الأرض.

إن أي تراجع من الجانب الفلسطيني في قضية اللاجئين سيضع القيادة التي توقع مثل هذا التنازل في مواجهة مع الشعب الفلسطيني بمجموعه، وسيدفع لشرخ حقيقي وخطير في الجسم الفلسطيني، وسيكون مرفوضاً ومداناً ومحارباً أيضا على كل الأصعدة. وكيان العدو برفضه المتواصل للاقرار بهذا الحق المقر دولياً إنما يعبر عن رفضه لطريق السلام، ويعبر أيضاً عن حجم الخدعة الكبرى بوعد السلام المزعوم القائم على النهب والاستعمار. إضافة إلى أن قضية اللاجئين ستشكل مشكلة كبرى في أماكن تواجدهم، حيث أن العالم فتح عينيه على القضية الفلسطينية عندما واجه الفلسطينيين المقتلعين من أرضهم، ولن تغمض عينيه عن هذه القضية مادام هؤلاء اللاجئون يصفعون وجه العالم بوجودهم ككتلة بشرية ترفض الاندماج خارج وطنها وخارج إطار حقوقها المشروعة.

القضية الثالثة هي قضية الأسرى، حيث تواصل إسرائيل الاحتفاظ بـ 2500 فلسطيني وعربي معتقلين حتى نهاية 1999.

وتشكل هذه القضية قضية ضمير بالنسبة للشعب الفلسطيني بالدرجة الأولى، فهؤلاء الشهداء الأحياء الذين يفقدون يومياً جزءاً من الروح خلف القضبان إنما هم الدليل الصارخ على عبثية الحوار مع الإسرائيليين، ولا يعقل أن تصل المفاوضات إلى هذه المرحلة دون إطلاق سراح كافة الأسرى الذين يتعرضون لأبشع الممارسات النازية في السجون الصهيونية، إن الحملة من أجل إطلاق الأسرى يجب أن تتواصل وتتصاعد، حتى الوصول إلى تحريرهم جميعاً، وإن أي سلام مزعوم لا يمكن أن يمر في الوقت الذي يشكلون فيه الدليل الأكبر على استمرار الحرب، وهذه القضية لا تقل أهمية عن القضايا الأخرى، بل هي تشكل بظرفها الخاص الدليل الحاسم على عدم جدية إسرائيل واستهتارها بكل الاتفاقات والقوانين الدولية.

أخيراً نأتي إلى القضية ذات الموضع الخاص والأكثر تعقيداً، نعني قضية القدس التي تشكل برمزيتها وكينونتها الخاصة نقطة الحسم الأساسية في الصراع، فلا سلام دون القدس، ولا دولة فلسطينية بدون القدس.

الموقف الإسرائيلي بطبيعة الحال لا يبشر بخير، فهم مصرون على وحدة القدس باعتبارها عاصمة أبدية لكيانهم الاغتصابي، ويعمل الكيان الصهيوني بشكل يومي على تهويد المدينة ومحاصرتها بالمستوطنات وابتلاع أحيائها العربية لمحو هويتها وتكريس كونها جزءاً لا يتجزأ من دولة إسرائيل، وإضافة إلى العمل على الأرض تسعى الحكومة الإسرائيلية إلى الضغط المتواصل على الجانب الفلسطيني من أجل تقديم تنازلات جوهرية عبر الاستعاضة عن القدس بقرى من خارجها مثل أبو ديس والعيزرية وعناتا مقابل ضم معاليه أدوميم وغيلو وراموت وبسغات زئيف بما يعني ابتلاع المدينة نهائياً. ويتم يومياً تسريب عروض حول تنازلات في الضفة أو اعتراف بالدولة الفلسطينية مقابل التنازل عن القدس التي تعتبر خطاً أحمر للفلسطينيين لا يمكن التنازل عنه بأي حال من الأحوال، فالقدس ليست خاضعة للمساومة بأي شكل من الأشكال، والمطلوب موقف متماسك وثابت ونهائي من مسألة القدس، لا يخضع لأي ابتزاز إسرائيلي أو أمريكي.

ومن هنا فإن من غير المفهوم أو المقبول بحال من الأحوال رفض رئيس وزراء كندا زيارة بيت الشرق، وكان الأحرى بالرئيس عرفات تنفيذ تهديده بعدم استقبال أي مسؤول غربي يرفض زيارة بيت الشرق، ونأمل ألا يكون هذا التجاوز دليلاً على بدء التراجع في ثبات الموقف من القدس.

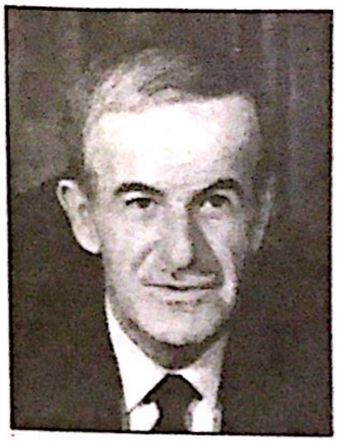
تلك كانت القضايا الرئيسية التي يجب أن تتوج بمسألة إعلان الدولة التي نواصل طرح الأسئلة بشأنها، على أي أرض ستقام هذه الدولة، وضمن أي حدود، وما عاصمتها وما هي الشروط للاعتراف بها.

إن الدولة الفلسطينية هي حق ثابت ومباشر للشعب الفلسطيني وليست خاضعة للتفاوض وهي شأن فلسطيني بحت، وإعلان هذه الدولة يجب ألا يكون خاضعاً لشروط الإسرائيليين والأمريكيين ولا لابتزازهم وتوقيتاتهم، ونحن نعتبر إن أي إعلان لا يمكن أن يكون كافياً إذا لم يشمل إعلان السيادة الفلسطينية على كامل غزة والضفة والقدس باعتبارها عاصمة الدولة الفلسطينية.

وهذا الإعلان لا يمكن أن يكتمل بدون التأكيد على حدود الرابع من حزيران كحدود للدولة الفلسطينية أسوة بالجبهة السورية واللبنانية والمصرية ولا يمكن لهذا الإعلان أن يكون مشروطاً بأي تنازلات في قضايا القدس واللاجئين بأي شكل من الأشكال. تلك هي القضايا الثابتة والاستراتيجية التي سيشملها أي اتفاق إطار بخصوص الوضع النهائي .والسؤال الذي يطرح نفسه إلى أي درجة ستلتزم القيادة الفلسطينية الرسمية بمعايير المصلحة الوطنية للشعب الفلسطيني، أم إن اتفاقاً سريا يعقد في قناة خفية سيودي بهذه المصالح.

يجب أن يضع الرئيس عرفات في اعتباره وأن يتذكر جيداً أثناء اجتماعه مع الرئيس الأمريكي في العشرين من هذا الشهر أنه لم يتبق أي شيء تكتيكي للتنازل عنه والتنازل عن هذه القضايا سينعكس بأوخم العواقب على مستقبل الشعب الفلسطيني، نقول تكفينا كارثة أوسلو، ولنمنع تكرارها بأي ثمن، لأن ما تبقى هو الوجود ذاته، والشعب الفلسطيني لم يخول أحداً التنازل عن وجوده ●●

د. جورج حبش يبرق إلى الرئيس حافظ الأسد بمناسبة ذكرى ميلاد حزب البعث



سيادة الرئيس المناضل/ حافظ الأسد

الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي

رئيس الجمهورية العربية السورية

تحية العروبة والنضال وبعد؛

يسعدني أن أتقدم باسم رفاقي في اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وباسم كافة كوادرها وأعضائها وجماهيرها في الوطن المحتل والشتات، وباسم الشعب الفلسطيني، وباسمي شخصياً، بأسمى وأحر التهاني وأطيب التبريكات لكم، ومن خلالكم لكافة قيادات وكوادر وأعضاء حزب البعث العربي الاشتراكي بمناسبة ميلاد حزبكم المناضل.

سيادة الرئيس:

لقد جاءت انطلاقة حزبكم لتشكل استجابة موضوعية للوضع العربي السائد آنذاك من حالة التجزئة والتبعية، رافعاً راية الوحدة العربية عالياً من أجل الحرية والاستقلال، والوحدة التي كانت الجماهير العربية تواقة لتحقيقها، والتي مازالت بأمس الحاجة إليها في هذه اللحظة.

سيادة الرئيس؛

إن الصمود السوري المدعوم والمسنود من كل القوى الوطنية والديمقراطية والإسلامية في الوطن العربي أفشل كل المخططات الصهيونية التي تهدف إلى الهيمنة على مقدرات أمتنا. هذا الصمود قد عزز من مواقع سوريا بعد أن جعلها قلعة صامدة شامخة عصية على كل المؤامرات، وأعاد الثقة للمواطن العربي، وشرّع الأبواب أمام ابتكار وسائل وأدوات للمواجهة والتحدي.

سيادة الرئيس؛

إننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وبهذه المناسبة نقف إلى جانب سوريا في صمودها وموقفها القومي، ونؤكد لكم إننا على العهد باقون، ومستمرون بالنضال بكافة أشكاله حتى تحقيق الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، وفي المقدمة منها حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، كما تحقيق الحقوق العربية المشروعة والمتمثلة في الانسحاب من جنوب لبنان والجولان.

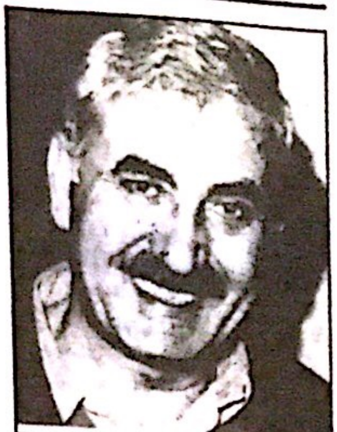
سيادة الرئيس؛

أغتنم هذه الفرصة وهذه المناسبة العزيزة لأجدد لكم أحر التهاني وأطيب التبريكات، متمنياً لكم دوام الصحة والعافية، وللشعب العربي السوري مزيداً من التقدم والازدهار في ظل قيادتكم الحكيمة. كما نتطلع لمزيد من تطوير وتوطيد أواصر العلاقات الثنائية بين حزبينا بما يخدم أهداف شعبنا وأمتنا العربية في التحرر والتقدم والعدالة.

د. جورج حبش

الأمين العام للجبهة

ويبرق له بمناسبة عيد الجلاء



سيادة الرئيس المناضل/ حافظ الأسد

الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي

رئيس الجمهورية العربية السورية

تحية العروبة والنضال وبعد،

يسعدني أن أتقدم باسم رفاقي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، قيادة وكوادر وأعضاء، وباسم جماهيرها في الوطن المحتل والشتات، وباسم شعبنا العربي الفلسطيني، لكم ومن خلالكم للشعب العربي السوري الشقيق بأحر التهاني وأطيب التبريكات بمناسبة عيد الجلاء المجيد.

سيادة الرئيس

إن يوم الجلاء عيد قومي، وهو محط فخر واعتزاز لأبناء الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، كما يشكل نموذجاً عربياً في مقاومة الاستعمار ودحر الاحتلال والتوق نحو الحرية والاستقلال والعدالة الاجتماعية، وهو إحدى ثمرات نضال الشعب العربي السوري وتضحياته الجسام، وسيبقى هذا اليوم خالداً في تاريخ وذاكرة أمتنا العربية.

سيادة الرئيس

إن يوم الاستقلال المجيد يعتبر شعلة مضيئة وبوصلة هادية لكل المناضلين في الوطن العربي، الذين يناضلون ويقاومون مشاريع الصهيونية العالمية وإسرائيل والإمبريالية الأمريكية ومحاولاتها فرض مشاريعها للسيطرة على شعوب ومقدرات أمتنا العربية، وبهدف تمزيق أمتنا وتطويعها لإبقاء وإدامة هيمنتها.

سيادة الرئيس

ونحن نشارككم غمرة احتفالاتكم بهذه المناسبة العزيزة على قلوبنا، نؤكد لكم وقوفنا إلى جانب سوريا الصامدة في مواجهة كل ما يحاك لها من مؤامرات وتشويه لمواقفها القومية المتمسكة بالحقوق العربية وعلى رأسها التمسك بانسحاب إسرائيل الشامل من الجولان حتى حدود ما قبل الرابع من حزيران ١٩٦٧، والانسحاب الشامل من جنوب لبنان، وإحقاق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

كما ونؤكد لكم إننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين سوف نستمر بالنضال وبكافة أشكاله حتى استعادة حقوقنا الثابتة والغير قابلة للتصرف، وفي المقدمة منها حقنا في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس كخطوة على طريق إقامة الدولة الديمقراطية على كامل فلسطين.

نغتنم هذه الفرصة لنجدد لكم أحر تهانينا الرفاقية، متمنياً لكم دوام الصحة والعافية، وللشعب العربي السوري مزيداً من التقدم والازدهار تحت قيادتكم الحكيمة.

د. جورج حبش

٢٠٠٠/٤/١٥

ويبرق للمؤتمر الأول لمقاومة التطبيع في الخليج العربي

الأخوة المحترمين في رئاسة المؤتمر الأول لمقاومة التطبيع في الخليج العربي،

الأخوة أعضاء المؤتمر الكرام،

تحية فلسطين والعروبة،

أسعدني جداً سماع خبر عقد مؤتمركم لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني، وإن عقد مثل هذا المؤتمر في الكويت، وفي هذا الوقت بالذات، بشرى قوية هامة، وإشارة لايمكن أن تمضي دون أثر بارز. ولعل أهم ما فيها التأكيد على عمق التلاحم العربي في مواجهة الأخطار والتحديات المحدقة بأمتنا العربية.

إن جبهة مقاومة التطبيع، والتي ينعقد مؤتمركم لتدعيمها، تعتبر في الوضع السياسي الراهن حلقة التمفصل الرئيسة لصون أهداف وحقوق أمتنا وللدفاع عن تاريخها وحضارتها وأرضها وحقوقها.

ليكن صوتكم هو صوت الأمة المدوي والذي يقول بالفم الملآن لا للهرولة، وليتراجع المهرولون.

لا للتطبيع بأي شكل وأي صورة مع الكيان الصهيوني.

نعم لكل الجهود الخيرة المباركة التي تصون كرامة العربي في وطنه

الأخوة أعضاء المؤتمر،

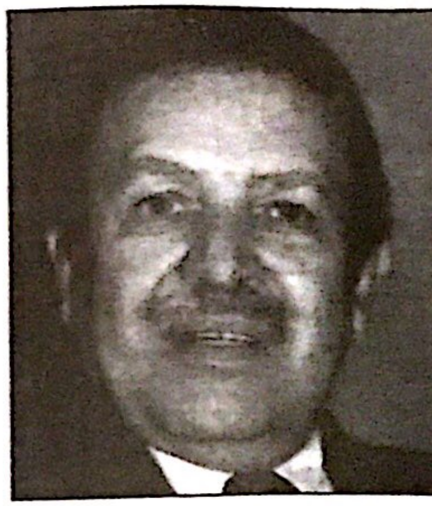
أحييكم وأشد على أياديكم متمنياً لمؤتمركم النجاح والتوفيق

أخوكم د. جورج حبش

الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

دمشق ٢٠٠٠/٤/٩

ويبرق للرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقه معزياً بالراحل رابح بيطاط



فخامة الرئيس/ عبد العزيز بوتفليقة
رئيس جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية

تحية فلسطين والعروبة وبعد:

ببالغ الأسى والحزن تلقينا نبأ وفاة المجاهد الكبير الأخ رابح بيطاط أحد رموز الثورة الجزائرية، الذي لعب دوراً مهماً وأساسياً في حرب التحرير الجزائرية، وأمضى عمره في النضال من أجل استقلال الجزائر ووحدتها وسلامة أراضيها.

وبرحيله فقدت الجزائر وحركة التحرر الوطني العربية أحد رموزها النضالية.

باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قيادة وكوادر وأعضاء، وباسم شعبنا العربي الفلسطيني، نتقدم منكم ومن خلالكم للشعب العربي الجزائري الشقيق بأحر التعازي القلبية وأصدق مشاعر المواساة.

للفقيد الرحمة ولكم من بعده الصبر والسلوان وطول البقاء

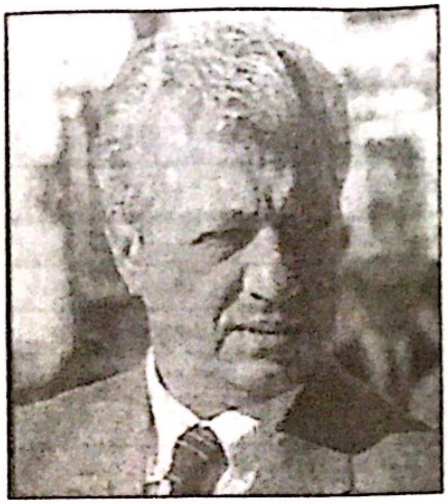
د. جورج حبش
الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

ويبرق معزياً لأسرة الفقيد رابح بيطاط

الأعزاء أسرة الفقيد/ رابح بيطاط
تحية فلسطين والعروبة وبعد

بمزيد من اللوعة والحزن تلقينا نبأ وفاة المجاهد الكبير رابح بيطاط أحد رموز الثورة الجزائرية وحركة التحرر الوطني العربية، الذي أفنى عمره في النضال من أجل استقلال الجزائر.

برحيله فقدنا صديقاً وقائداً ثورياً نحن في أمس الحاجة لأمثاله في وضعنا الراهن.



بهذه المناسبة الأليمة اسمحوا لي أن أتقدم باسم رفاقي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قيادة وكوادر وأعضاء، وباسم شعبنا الفلسطيني بتعازينا القلبية الحارة وبأصدق مشاعر المواساة لكم جميعاً وللشعب الجزائري الشقيق.

للفقيد الرحمة ولكم من بعده الصبر والسلوان وطول البقاء

د. جورج حبش
الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

د. جورج حبش يبرق لأسرة الشهيدة الفلسطينية فتحية يوسف صالح

الأخوة الأفاضل/ أسرة الشهيدة فتحية يوسف صالح

بألم وغضب شديدين تلقيت نبأ استشهاد الأخت فتحية. وبهذه المناسبة الأليمة اسمحوا لي أن أتقدم منكم باسم الشعب الفلسطيني في الداخل والشتات، وباسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وباسمي شخصياً بأحر التعازي القلبية.

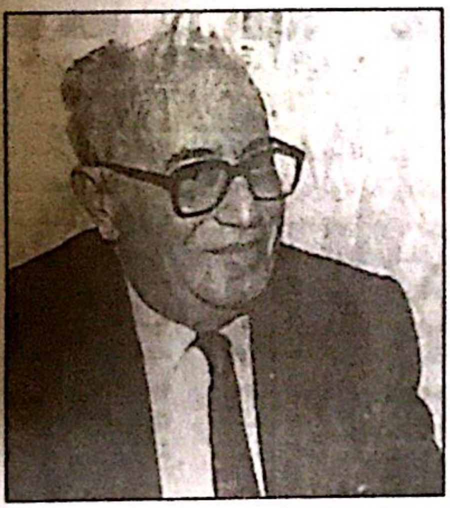
أيها الأخوة الكرام،

إن استشهاد الأخت فتحية في الذكرى المجيدة ليوم الأرض، هو خير دليل على أن شعبنا الصامد الصابر في مناطق الـ ٤٨ لن يتخلى أبداً عن المطالبة باسترداد حقوقه، وهو بذلك يتواصل مع أبناء شعبه في مناطق السلطة الفلسطينية وفي مخيمات اللجوء والشتات، لتكتمل دائرة نضالهم حتى يحققوا كامل أهدافهم لبناء دولتهم الحقيقية ذات السيادة الكاملة وعودتهم إلى أرضهم وديارهم التي طردوا منها.

مرة أخرى أكرر تعازيّ الحارة لأسرة الشهيدة، وأوجه التحية لأهلنا الأبطال في سخنين وفي كل مناطق الـ ٤٨، ونعاهد الشهيدة وشهداء يوم الأرض وكل الشهداء أينما سقطوا بأن نضالنا سيستمر ومهما كانت الصعاب حتى يعود علم الحرية ليرفرف خفاقاً فوق أرضه الحبيبة.

أخوكم د. جورج حبش
الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
دمشق ٢٠٠٠/٤/٧

د. جورج حبش يبرق إلى آل الأتاسي معزياً بالمناضل جمال الأتاسي



الأخوة آل الأتاسي الأفاضل

بحزن وألم عميقين تلقيت نبأ وفاة الدكتور جمال صالح الأتاسي، وبهذه المناسبة الأليمة أتقدم منكم باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وباسم الشعب الفلسطيني في الداخل والشتات وباسمي شخصياً بأحرّ التعازي القلبية.

إن رحيل الفقيد ليس خسارة لكم وللشعب السوري فقط بل هو خسارة للشعب الفلسطيني وللأمة العربية كلها.

لقد أعطى الراحل كل عمره وجلّ نشاطه مدافعاً عن القومية العربية ومؤمناً بها فكراً وممارسة، ولم يهتز إيمانه يوماً، ولم تنل من عزيمته كل المصاعب والعقبات، وبقي يعمل من أجل وحدة الأمة مدركاً الحقيقة الساطعة، «بأن لامستقبل لهذه الأمة إلا بوحدتها».

إن تمسكنا بالأهداف التي ناضل ومات في سبيلها هو خير وفاء للراحل.

الأخوة الكرام

مرة أخرى أكرر تعازيّ الحارة، للفقيد الرحمة ولكم من بعده الصبر والسلوان وطول البقاء.

د. جورج حبش
الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
دمشق ٢٠٠٠/٤/٦

يوم الأرض يتواصل في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨

يوميات انتفاضة يوم الأرض ٢٠٠٠

فلسطين المحتلة ـ خاص بالهدف



يوم الاثنين ٢٠٠٠/٤/٣

وقعت مواجهات عنيفة بين الطلاب العرب في جامعة حيفا وبين عناصر من الشرطة، ومن «أمن» الجامعة، ومجموعة من الطلاب اليهود. كل ذلك أثناء مظاهرة احتجاج على استشهاد الحاجة فتحية يوسف صالح شهيدة يوم الأرض ٢٠٠٠.

وكانت لجنة الطلاب قد دعت إلى هذه المظاهرة فور معرفة خبر الاستشهاد. وفي الساعة الحادية عشرة والنصف انطلقت مسيرة حاشدة من باحة الـ ٧٠٠، مروراً بباحة الـ ٦٠٠ ـ ساحة فلسطين كما يسميها الطلاب. ورفعت الطالبات والطلاب الأعلام الفلسطينية والسوداء، وهتفت «يا شهيد ارتاح ارتاح، واحنا بنكمل كفاح» «بالروح بالدم نفديك يا شهيد» و«أرض العروبة للعرب صهيوني شيل وارحل.. لو صرنا لجهنم حطب عن أرضنا مبنرحل..». كل ذلك وقوات الأمن تصور المتظاهرين، بهدف تقديمهم إلى لجان الطاعة، محاولين بين الحين والآخر خطف العلم وإنزال الشعارات. وفي الـ ٦٠٠ انطلقت المواجهات الكلامية بين المتظاهرين وبين مجموعات من الطلاب اليهود الذين أخذوا بالزعيق «اذهبوا إلى بئر زيت» «اشكروا ربكم أننا نعطيكم الفرصة للعيش هنا». واعتدى الزعران وقوات الأمن على المتظاهرين، مما دفع الطلاب إلى التصدي ووقعت مواجهات أصيب جراءها ستة من الطلاب العرب بجروح طفيفة، ورغم ذلك فقد استمرت المظاهرة بالسير، وسط المضايقات المستمرة، رافضين الارهاب والتهديد.

يوم الثلاثاء، ٢٠٠٠/٤/٤
حيفا

تجددت المناوشات بعد ما حاول «أمن» الجامعة إلزام الطلبة بإنزال اكليل الزهور المحيط بصورة الشهيدة التي سقطت في سخنين. واعترض الطلاب العرب. مصرين على حقهم في إبقاء الاكليل. وبعد مشادة كلامية بين الطالب رجا زعاترة وأحد الطلاب اليمينيين، استدعى «أمن» الجامعة قوات الشرطة إلى الحرم الجامعي. وقام مئات الطلاب العرب بإحاطة السيارة التي اعتقل داخلها رجا زعاترة، مدافعين عن زميلهم بأجسادهم، ومنعوها من التحرك. بالإضافة إلى ذلك وصلت إلى المكان قوات كبيرة من الشرطة، مستعدة لقمع الطلاب بالقوة.

وبعد أكثر من ساعتين، وتدخل شخصيات قيادية عربية وأعضاء «كنيست» ومفاوضات طويلة، تم الاتفاق على أن يطلق سراح رجا زعاترة، بشرط أن يتوجه بعد ذلك إلى مركز الشرطة.. وعندما تفرق الطلاب، لم تلتزم الشرطة وإدارة الجامعة بالاتفاق، واعتقل الطالب رجا، ثم أطلق سراحه بشرط أن لايتواجد في الجامعة مدة ١٠ أيام.

أما نقابة الطلاب العامة ـ «لجنة الطلاب اليهود» ـ دعت إلى الإضراب العام ابتداءً من الساعة ١٤:٠٠، استنكاراً عن نشاط لجنة الطلاب العرب.. وعلى الصعيد نفسه، استدعت الشرطة رئيسة لجنة الطلاب العرب في الجامعة، خلود بدوي للتحقيق معها، وذلك في منتصف الليل!

تل أبيب

في يوم ٢٠٠٠/٤/٤ تظاهر في جامعة تل أبيب نحو ٤٠ طالباً من جميع القوى السياسية المتواجدة في الجامعة، للتنديد بممارسات الشرطة في يوم الأرض، والتي أدت إلى استشهاد الشهيدة الحاجة فتحية صالح. وتم خلال المظاهرة الوقوف دقيقة حداد على روح الشهيدة.

وقام رجال أمن الجامعة بتصوير الطلاب المتظاهرين، في حين قام الطلاب المتظاهرون بترديد شعارات تندد بسياسة القمع ومصادرة الأراضي.

وفي نهاية المظاهرة، أخذ رجال أمن الجامعة بالتحقيق مع بعض الطلاب ممن رددوا الشعارات، بإدعاء أن بعض الشعارات حملت «فحوى ممنوعة». وعندما قام الطلاب بترديد شعار «دولة شرطة». وتفرقت المظاهرة بعد ذلك دون احتكاكات إضافية. ويبدو أن سلطات الجامعة تنوي تقديم بعض الطلاب إلى لجان الطاعة لبحث أحداث تلك التظاهرة، وتظاهرة يوم الأرض في الجامعة يوم ٣/٣٠ مقابل بناية جيلمان، بدعوى أنه لم يكن هناك تصريح لترديد هذه الشعارات في تظاهرة يوم الأرض، والتي بها تم، وكالعادة قام رجال الأمن بالتقاط صور الطلاب المتظاهرين، والتي هي امتداد لسياسة الارهاب الفكري التي تعودنا عليها خارج بوابات الجامعة.

يوم الأربعاء ٢٠٠٠/٤/٥
حيفا

أعلنت لجنة الطلاب العرب اضراباً عن الدراسة، التزم فيه قسم كبير من الطلاب، وخلال تجمهر الطلاب العرب في باحة الـ ٧٠٠، حضرت عميدة الطلبة، ومعها مجموعة من قوات الأمن، وهددوا الطلاب وطالبوا بتفريق التجمهر «غير القانوني» على حد تعبيرهم. عندها توجه الطلاب العرب إلى باحة المقهى، وهناك تم تنظيم حلقة كبيرة، شارك فيها ما يقارب ٤٠٠ طالب وطالبة (من ضمن ١٨٠٠ طالب عربي يدرس في جامعة حيفا نفسها، بينما بقية الطلاب يدرسون في فروع الجامعة خارج حيفا) وأكد الطلاب دعمهم للجنة الطلاب في نضالاتها الوطنية. وانضمت إلى الحلقة وفود طلابية من معهد التخنيون، ومن جامعة تل أبيب، ومن كلية عميق ايزرعيل والجليل الغربي، وكلية الهندسة وآخرون.

يوم الأحد ٢٠٠٠/٤/٩
عكا

قام نشطاء من «جبهة الطلاب العرب» في كلية الجليل الغربي بتوزيع منشور تضامني مع طلاب جامعة حيفا، وقد اعترضهم رجال أمن الجامعة، وأجبروهم على الخروج من الكلية إلى موقف السيارات، وهناك كان بانتظارهم الشرطة السرية، وقد قاموا بضرب أحد الطلاب، أحمد حسان من طمرة ضرباً مبرحاً مما أدى إلى القيام بمظاهرة داخل حرم الكلية.

كريات شمونة

في تمام الساعة ١٢:٣٠ تظاهر في كلية «تل حاي» ما يقارب ١٠٠ طالب وطالبة (من ضمن ٧٠٠ طالب عربي يدرس في الكلية). وقام الطلاب بمسيرة انطلقت من قلب الكلية ووصلت إلى الشارع بين كريات شمونة والمطلة. رفع الطلاب شعارات مكتوبة (بدون أعلام) تعبر عن رفضهم لقمع الطلاب العرب في الجامعة الإسرائيلية، وتمركز الطلاب على جانبي الشارع، وهتفوا هتافات ضد السلطة وسياستها القمعية نحو الجماهير العربية.

وحضر إلى المكان عدد كبير من أشخاص الشرطة وحرس الحدود، ولكن تبين أن المظاهرة كانت مرخصة من قبل الأعضاء العرب في نقابة الطلاب العامة ولم تتدخل الشرطة، وتفرقت المظاهرة بحدود الساعة الثانية بعد الظهر.

حيفا

قررت إدارة جامعة حيفا وقف كل نشاط سياسي واجتماعي داخل الحرم الجامعي. وأول خطوة بتطبيق هذا القرار التعسفي كانت عندما قام رجال «أمن» الدولة بمصادرة ٥٠٠ عدد من صحيفة الاتحاد، صحيفة يومية عربية التي تصدر بالداخل، وتوزع يومياً في الجامعة.

يوم الثلاثاء ٢٠٠٠/٤/١١
القدس

تظاهر في جامعة القدس نحو ١٥٠ طالباً وطالبة من جميع القوى السياسية المتواجدة في الجامعة، احتجاجاً على ممارسات السلطات الإسرائيلية ضد الجماهير العربية عامة، وضد مخطط شارع «عابر إسرائيل»، وتعامل الشرطة مع الطلاب العرب في الجامعات، خاصةً.

وكانت المظاهرة خارج بوابة الجامعة، بعد أن رفضت إدارة الجامعة طلب لجنة الطلاب العرب بإجراء المظاهرة داخل الحرم الجامعي، وفي الجانب الآخر من الشارع تظاهر طلاب يهود عنصريون أخذوا بالزعيق «اخرجوا من هنا» «اذهبوا إلى بير زيت».

وعندما رفع الطلاب أعلاماً فلسطينية حاولت قوات الشرطة إنزال هذه الأعلام، وقام أفراد الوحدة الخاصة، «اليسام» بقمع الطلاب العرب بشكل همجي، وبضربهم ورميهم على الأرض، ولم يهتموا بتاتاً بالطلاب اليهود. وأدى هذا القمع إلى إصابة عدد من الطلاب واعتقال ١٣ طالباً. وبعد إدخالهم إلى سيارات الشرطة أخذ أفراد الوحدة الخاصة باعتداء همجي على الطلاب المعتقلين داخل السيارات. ولكن المظاهرة استمرت..

يوم الأربعاء ٢٠٠٠/٤/١٢
تل أبيب

تظاهر نحو ٥٠ طالباً من طلاب الجامعة تضامناً مع إخوتهم الطلبة في جامعة القدس رافعين الأعلام الفلسطينية، مما يؤكد على وحدة الحركة الطلابية العربية الفلسطينية في الجامعات الإسرائيلية.

حيفا

يوم الأربعاء، ٢٠٠٠/٤/١٢ وبالرغم من قرار إدارة الجامعة بالإعلان عن وقف كل نشاط سياسي واجتماعي داخل الحرم الجامعي حتى نهاية الفصل، ضاربين بعرض الحائط حقوق الطلاب في التعبير عن كونهم جزء لايتجزء من الشعب العربي الفلسطيني وهمومه قامت لجنة الطلاب العرب بتنظيم تظاهرة طلابية صامتة داخل الحرم الجامعي، شارك فيها ما يقارب الـ ٢٠٠ طالب وطالبة، منددين بالقرار التعسفي لإدارة الجامعة، مطالبين إياها بإلغاء هذا القرار التعسفي، ورفعت الأعلام السوداء والشعارات التضامنية مع زملائنا في جامعة القدس ●●

د. جورج حبش يوجه كلمة للشباب الفلسطيني في جامعة حيفا بمناسبة يوم الأرض

أبنائي/ شباب الوطن في القدس، في حيفا، في نابلس، في غزة

أنتم أمل الوطن المضيء، لأنكم مستقبل الوطن، والوطن في القلب، والقدس في قلب القلب، وأنتم الشباب، والطلبة تحديداً، نبض هذا القلب. بالأمس كنتم في جامعة بيرزيت، واليوم أنتم في جامعة حيفا وفي شوارع سخنين، وغداً تكونون في كل ربوع الوطن جبالاً وأنهاراً وساحات مدن. وأينما كنتم فالوطن واحد، والنبض واحد، والعقل واحد.

الأصفاد قد تشل الفعل وتقتل الحركة، لكنها لن توقف القلب عن الخفقان بحب الوطن، ولن توقف العقل عن عمل الفكر من أجله.. لن يضيع الفلسطيني في أزقة وطنه، وإن جابتها قطعان فاشية مستوحشة، تضع فخاً هنا، سجناً، قفلاً، سياجاً هناك، فإن قطعت أوصال الوطن نحمله نقشاً في قلوبنا، رسماً في عيوننا، وفكراً في عقولنا. نحن من يعرفنا الوطن ونعرفه. كما نعرف أنه في البدء كانت الأرض، وفي النهاية ستكون الأرض.. أرضنا نحن، والتي لن نكون لها إلا شراعاً، ساعداً وتراباً.

أبناء شعبي، طلبة وشباباً،

في جامعة حيفا أعرفكم رغم إنني لم أشاهد أحداً منكم، لكني أحس بأنفاسكم الوطنية وهي تلفح وجهي معبرة عما يجيش في صدوركم من انتماء لفلسطين الأرض، الوطن، القضية. وأعرف أيضاً أن الوطن لايصنع إلا في خضم النضال الوطني في شتى مجالاته، ويكتسب صفاته وسجاياه الخاصة في معمعان التجارب، وبها تتصلب روحه الكفاحية.

إن الوطني ينتقل بفعله من وضع يفكر فيه بنفسه إلى وضع يفكر فيه بشعبه.. قضيته. إن الوطنية الصادقة هي نكرانٌ حرٌ للذات لصالح مستقبل الشعب والأرض والقضية.

وأنتم الطلبة الأكثر قدرة على التأثر والفعل بحكم ظروفكم ولاعتبارات تخصكم كفئة اجتماعية تتسم بشفافية عالية في عصر يتميز بالتحولات الكبيرة والتعقيدات الكبيرة على مختلف الصعد.

أبنائي الطلبة في جامعة حيفا وفي ربوع الوطن،

لتكونوا قبس النور الذي ينير الدرب ويزود شعبنا بالأمل المتجدد. إن الفرد منكم لكي يصبح وطنياً حقيقياً عليه أن يحمل هموم الشعب، آماله وأحلامه، ويدافع ويصون حقوقه، وكلما فعل ذلك اقترب أكثر من كونه إنساناً حقيقياً، لأن الوطنية معيار للسمو، بل إنها أعلى مراتب الانصهار الإنسانية سمواً.

ومادامت الحياة باقية، فالوطن باقٍ.. والأمل دائم التجدد والانبعاث، لن تكون فلسطين أيقونة منسية، أو تعويذة ساحر، بل شجرة للحياة دائمة الاخضرار، تبعث فينا العزيمة لاستمرار النضال حتى النصر.

أبنائي.. أحييكم بالشد على أياديكم،
والنضال العادل مصيره الانتصار طال الزمن أم قصر
الوطن أو الموت

أخوكم د. جورج حبش
الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
دمشق ٢٠٠٠/٤/٧

فعاليات جماهيرية بمناسبة يوم الأرض في لبنان

بمناسبة ذكرى «يوم الأرض»، الصادف في الثلاثين من آذار ٢٠٠٠، أحيت المخيمات الفلسطينية في لبنان هذه المناسبة بهدف تأكيد الذكرى والارتباط بالأرض والوطن وتأكيد وحدة شعبنا الفلسطيني.

ـ في بيروت:

دعت منظمة الشبيبة الفلسطينية، ونادي سينما «الخط المباشر» إلى حضور فيلم فلسطيني بعنوان: «حيفا» من إخراج الفنان الفلسطيني المبدع رشيد مشهراوي، حيث عرض الفيلم في قاعة الشعب (مركز الشباب الفلسطيني) مخيم شاتيلا، يوم الأربعاء ٢٩/٣/٢٠٠٠م، وقدر عدد الحضور بحوالي مئة مشاهد من فعاليات وشباب المخيم.

كما أقام النادي الثقافي الفلسطيني في الجامعة العربية يوماً مفتوحاً وهو ما اعتاد النادي القيام به سنوياً، يضم عروض ومعارض فنية وتراثية بالمناسبة.

في الجامعة الأمريكية وفي قاعة «الوست هول» أقيم معرض بالمناسبة، بدعوة من النادي الثقافي الفلسطيني وبالتعاون مع القطاع الطلابي في منظمة الشبيبة الفلسطينية ويضم المعرض ملصقات وصوراً من الذاكرة الفلسطينية.

ـ في منطقة صيدا:

بمناسبة ذكرى «يوم الأرض» كانت الوجهة التعاون مع الجميع لإحياء المناسبة كمحطة وطنية فلسطينية، وعلى ضوء ذلك، تشكلت لجنة شبابية وضعت برنامجاً مشتركاً لإحياء المناسبة كانت أبرز محطاته:

١ـ في ٢٨/٣/٢٠٠٠: أقيمت ندوة حول يوم الأرض في المركز الثقافي الفلسطيني، تحدث فيها سهيل الناطور وقدم لها أبو علي طلال.

٢ـ في ٢٩/٣/٢٠٠٠: أقيمت أمسية شعرية في المركز الثقافي الفلسطيني، أشرف عليها شاعر من المخيم وألقي عدد من القصائد الوطنية بالمناسبة.

٣ـ في ٣٠/٣/٢٠٠٠: افتتح معرض صور ولوحات، تعكس التاريخ الفلسطيني في مركز التنمية ـ قاعة ناجي العلي.

٤ـ اختتمت النشاطات بحفل فني، أحيته فرقة «جفرا» التراثية، حيث حضرها حشد واسع من الشبيبة في قاعة الشهيد ناجي العلي.

٥ـ تقاطعت مع هذا البرنامج زيارة الوزير عماد الفالوجي، حيث جرى حفل استقبال له في قاعة الشهيد ناجي العلي، وقد شارك في الحفل جمهور واسع وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية.

ـ في منطقة الشمال:

دعت الفصائل الفلسطينية واللجان الشعبية إلى مسيرات واضراب بالمناسبة، وأصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بياناً جماهيرياً، أكد على أن للأرض شلالاً من الدم مازال ينزف من أجل استردادها. وأنه يوم العهد والوعد والوفاء، ودعا إلى التمسك ببرنامج الاجماع الوطني وتأكيد التناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني والحفاظ على وحدة الشعب والقضية والأرض الفلسطينية. ودعا إلى التمسك بكل ذرة من تراب فلسطين مهما طال الزمن.

ووضعت المنظمة الشعبية والشبابية برامج ثقافية وفنية لإحياء المناسبة، وقد ترافقت النشاطات مع تقليصات حادة للأنروا في الخدمات الصحية، حيث دعت قيادة المقاومة واللجان الشعبية للاضراب وشل كل مرافق العمل في مؤسسة الأنروا، شهدت خلالها اعتصامات ومظاهرات ولقاءات جماهيرية وبيانات، لوقف السياسة التقليصية للأنروا وخاصة في مسألة الصحة والتعليم ومازال النشاط مستمراً.

كما أقامت منظمة الشبيبة الفلسطينية ـ مفوضية البداوي مسابقة ثقافية للهواة في الشعر في صالة الوردة البيضاء في البداوي، أشرف عليها لجنة تحكيم من السادة/ الدكتور صلاح هواري ـ الدكتور حكم الكوني ـ الأستاذ حسين أبو العلي ـ الدكتور عبد الله عيادي.

في بداية الاحتفال، تم إلقاء كلمة منظمة الشبيبة الفلسطينية ألقاها مسؤول المفوضية خالد يماني، تناولت المناسبة وشارك فيها ١٢ مشاركاً قدموا باقة من نتاجاتهم الأدبية الشعرية والنثرية.

وفي النهاية: فاز الطالب ثائر البشير ـ الطالب محمد قصقوص ـ والمشاركة سمر كروم. وقدمت لهم جوائز رمزية.

وفي مخيم نهر البارد، دعا الملتقى الطلابي الفلسطيني ومؤسسة غسان كنفاني الثقافية بمناسبة «يوم الأرض» و«ميلاد غسان كنفاني» لحضور معرض الرسم الثاني، يضم رسومات للشباب حيث سيفتتح المعرض برعاية الأستاذ رشيد جمالي رئيس الرابطة الثقافية، وذلك يوم الأحد الموافق ٩ نيسان، الساعة الحادية عشرة صباحاً، روضة غسان كنفاني (المبنى الجديد) ـ نهر البارد.

اضراب مؤسسات الأنروا في مخيمات الشمال ـ لبنان

تم إعلان الإضراب بواسطة بيان باسم اللجنة الشعبية في المنطقة. ومنذ الصباح تم إغلاق مراكز الأنروا في كل منطقة الشمال من طرابلس، البداوي، نهر البارد. أغلقت كل المرافق التابعة لها نتيجة السياسة التقليصية التي تتبعها، وتعمل تحت حجة أنه لايوجد موازنة. وقد تقاطر ممثلو الفصائل ول.ش. والروابط المهنية الشعبية والأندية وحشد من الفعاليات والأهالي إلى مركز اللجنة الشعبية في البادر والبداوي، حيث تم التداول بشأن الإضراب وتصعيده إلى أن تتحقق المطالب المنوه لها في بيان ل.ش.

هذا وقد استمر الإضراب عدة أيام، حيث تخللته فعاليات مختلفة ففي يوم الجمعة ٣١/٣/٢٠٠٠ انطلقت مسيرة أمام مسجد عمر بن الخطاب في البداوي تقدمتها قيادة المقاومة واللجان الشعبية ومشايخ المخيم والروابط الشعبية والمهنية وحشد كبير من أهالي المخيم حيث طافت شوارع المخيم رافعين اليافطات والكراتين الحاملة للشعارات التي تندد بسياسة الأنروا وقد توقفت المسيرة أمام مقر اللجنة الشعبية في البداوي، حيث ألقى الرفيق أبو رامي خطار كلمة ل.ش الذي أشار إلى يوم الأرض وضرورة التمسك بها موجهاً التحية لشعبنا في الداخل والشتات وللأسرى والمعتقلين، وان لاتفريط ولاتنازل عن حقنا في وطننا مطالبين الأسرة الدولية بتطبيق القرار ١٩٤. كما أشار إلى معاناة الجماهير على صعيد الاستشفاء والطبابة.

لماذا لايوجد مستشفى أو ثانوية؟ لماذا الاعاشات في تناقص مستمر والبنية التحتية مهترئة؟ ومن المسؤول عن تلوث المياه. وختم قائلاً سنستمر في النضال معكم ويد بيد حتى تحقيق مطالبنا وسنبلغكم ببرنامج تحرك جديد حتى ننال كل حقوقنا.

بيان صادر عن اللجان الشعبية الفلسطينية ـ منطقة الشمال

رغم مراجعاتنا المتكررة لمسؤولي الأنروا في لبنان بخصوص عدد من المطالب الملحة والأساسية التي نطمح أن تؤمن للإنسان

الفلسطيني الحد الأدنى من العيش الكريم وهي:

١ـ الطبابة والاستشفاء وبهذا المجال نؤكد على ضرورة التعاقد مع المستشفى الإسلامي نظراً لإمكانياته الطبية مقارنة بباقي المستشفيات المطروحة للتعاقد.

٢ـ التربية والتعليم: خاصة تأمين مدرسة ثانوية لمنطقة الشمال أسوة ببقية المناطق في لبنان.

٣ـ الشؤون الاجتماعية: الأعاشات للجميع.

٤ـ البنية التحتية: المياه، الصرف الصحي صيانة الشوارع والطرقات.

٥ـ تأمين مساكن للمهجرين.

٦ـ تسجيل فئة NR لدى الأنروا حتى يستفيدوا من خدماتها كبقية اللاجئين الفلسطينيين.

لم تتجاوب الأنروا بل بالعكس أصبح واضحاً للإنسان العادي أن الأنروا ممعنة ضمن برنامج سياسي مدروس على الاستمرار بالتقليصات في خدماتها وعلى مرآى ومسمع من جميع المعنيين ضاربة بعرض الحائط كل النداءات الإنسانية وصرخات الألم التي تصدر عن شعبنا نتيجة هذه التقليصات منفذة وممهدة بذلك لتنفيذ المشاريع الاستسلامية التي يرفضها شعبنا المتمسك بحق العودة والصمود ورفض التوطين والتهجير.

لذا فاللجان الشعبية الفلسطينية في الشمال قررت الإضراب العام والشامل والمفتوح بدءاً بالأيام التالية:

الأربعاء ٢٠٠٠/٣/٢٩

الخميس ٣/٣٠

الجمعة ٣/٣١

وستستمر بالتصعيد ومهما كانت النتائج لأن شعبنا الصابر الصامد لم يعد بمقدوره تحمل هذه المعاناة. محملين الأنروا مسؤولية هذا الإضراب.

إننا ندعو جماهير شعبنا (طلاباً ـ معلمين ـ مؤسسات ـ نوادي ـ روابط ـ أهالي شيباً وشباناً) للمشاركة الفعالة في هذا الإضراب. وسيكون التجمع في مقرات اللجان الشعبية في البارد والبداوي طيلة أيام الإضراب ابتداء من الساعة العاشرة صباحاً للمتابعة والمشاركة الفعلية. لأن الإضراب سيشمل جميع مؤسسات الأنروا (مدارس ـ عيادات ـ عمال الصحة ـ مكتب المنطقة ـ مكاتب مديري المخيمات ـ سيارات الأنروا ـ مراكز الشؤون الاجتماعية والأنشطة النسائية) حيث لن تستثنى أية مؤسسة أو مركز للأنروا.

نكرر دعوتنا للمشاركة الفعالة من قبل الجميع متمسكين بحقوقنا المشروعة والمحقة.

بوحدتنا وتضامننا ومشاركة الجميع نحقق ما نصبو إليه.

اللجان الشعبية الفلسطينية ـ منطقة الشمال
٢٠٠٠/٣/٢٦

احتفالات شهر آذار في مخيمات حلب

بمناسبة يوم المرأة العالمي الذي يصادف يوم الثامن من آذار اقامت لجنة المرأة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالتعاون مع نادي الشهيد غسان كنفاني للأطفال حفل تكريم للمرأة تناول الفقرات التالية:

في البدء رحبت الرفيقة رباب فياض بالحاضرات وشكرتهنّ على الحضور مؤكدةً على عظم هذه المناسبة وأهميتها. ثم ألقت الرفيقة وفاء الصالح كلمة المرأة رحبت في بدايتها بالفتيات والأمهات الحاضرات وتحدثت عن سبب اختيار هذا اليوم ليكون يوماً للمرأة في كل أنحاء العالم كما أقرته هيئة الأمم المتحدة قبل ربع قرن تقريباً.

ثم تحدثت عن دور المرأة العربية في مجتمعنا ومكانتها رغم وجود بعض القوانين والأعراف التي تحول دون حصول المرأة على كامل حقوقها المدنية والسياسية. كما أكدت على الدور البارز الذي قامت به المرأة الفلسطينية عبر مراحل النضال الطويلة من خلال دورها في المنزل وانتهاءً باستشهادها في ساحات النضال.

وبعد ذلك ألقت مجموعة من الصديقات بعض المساهمات الأدبية التي تعالج قضايا المرأة في مجتمعنا. ثم قدمت فرقة فرح الفلسطينية للأطفال المنبثقة عن نادي الشهيد غسان كنفاني للأطفال مجموعةً من أغانيها الوطنية والتراثية وبعضاً من الدبكات والرقصات الشعبية الفلسطينية التي لاقت استحسان الحاضرات.

بمناسبة عيد المعلم العربي الذي يصادف يوم الحادي عشر من آذار أقام مكتب المعلمين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حفل تكريم للمعلمين في مدينة حلب. في بدايته رحب عريف الحفل الرفيق المعلم سامر خليلي بالحاضرين من الزملاء والزميلات ثم دعا الحضور إلى الوقوف دقيقة صمت إجلالاً لأرواح الشهداء المعلمين. بعدها ألقى الرفيق المعلم عمر عيد مسؤول مكتب المعلمين كلمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مرحباً في بدايتها بالمعلمين والمعلمات الحاضرين شاكراً جهودهم وبذلهم وعطاءهم وتفانيهم مبرزاً أهم مشاكل التعليم في مدارس المخيم داعياً الزملاء والزميلات إلى العمل على إزالتها وبذل المزيد من العطاء لإنجاح العملية التربوية. ثم تناول آخر المستجدات السياسية في الساحتين العربية والفلسطينية. حيث أثنى على دور الجبهة في المجلس المركزي من خلال إلغاء كتاب التربية الوطنية الذي أصدرته السلطة الفلسطينية. وكذلك إصدار قرار بتكليف اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ورئاسة المجلس الوطني للعمل على التحضير لانتخابات المجلس الوطني الفلسطيني الجديد. خاتماً كلمته بالتأكيد على حق شعبنا في العودة وتقرير المصير وبناء الدولة المستقلة وعاصمتها القدس.

بعد ذلك ألقى الشاعر الفلسطيني عصام ترشحاني قصيدتين من ديوانه الأخير بقصيدة واحدة بعنوان «سقط السلام على الجدار» تناول فيهما موقف اللاجئ الفلسطيني من السلام مؤكداً على حق العودة. وبعد ذلك قام الرفيقان عمر مراد وعمر عيد بتكريم إدارات المدارس في المخيمات ومعلمي الدورات في المكتب. كما قام مكتب المعلمين للجبهة بتكريم أسرة الشهيد المعلم عبد جابر أحد مؤسسي مكتب المعلمين بحلب.

وبمناسبة عيد الأم الذي يصادف الواحد والعشرين من آذار أقامت لجنة المرأة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالتعاون مع نادي الشهيد غسان كنفاني للأطفال حفلاً فنياً إحياءً لهذه المناسبة الجليلة. رحبت في بدايته عريفة الحفل الرفيقة رباب فياض بالحاضرات من الأمهات. ثم ألقى الأستاذ سنان سويد أحد أعضاء إدارة النادي كلمة النادي تحدث فيها عن دور النادي وأهميته في تنشئة الأطفال على حب الأرض وربطهم بوطنهم وتراثهم. ثم ألقت الرفيقة وفاء الصالح كلمة لجنة المرأة تحدثت فيها عن معنى ودلالات هذا العيد وعن دور الأم الفلسطينية في التضحية والنضال والعطاء وتربية الجيل على حب الوطن والنضال من أجل تحريره. ثم ألقى بعض الأطفال في النادي مجموعة من القصائد الوطنية. بعد ذلك قدمت فرقة فرح الفلسطينية للأطفال مجموعةً من أغانيها ودبكاتها التي لاقت صدىً عند الحاضرات من الأمهات اللواتي شاركن الفرقة أغانيها بحماسٍ كبيرٍ.

أمسية أدبية في جرمانا بمناسبة يوم الأرض

أقامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مخيم جرمانا/ بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين ليوم الأرض في ٢٠٠٠/٣/٣٠ أمسيةً أدبية شارك بها عدد من الشعراء والمهتمين وعدد من جماهير شعبنا الفلسطيني في المخيم وممثلين عن فصائل المقاومة ـ وممثل الحزب الشيوعي العراقي/ التيار الديمقراطي.

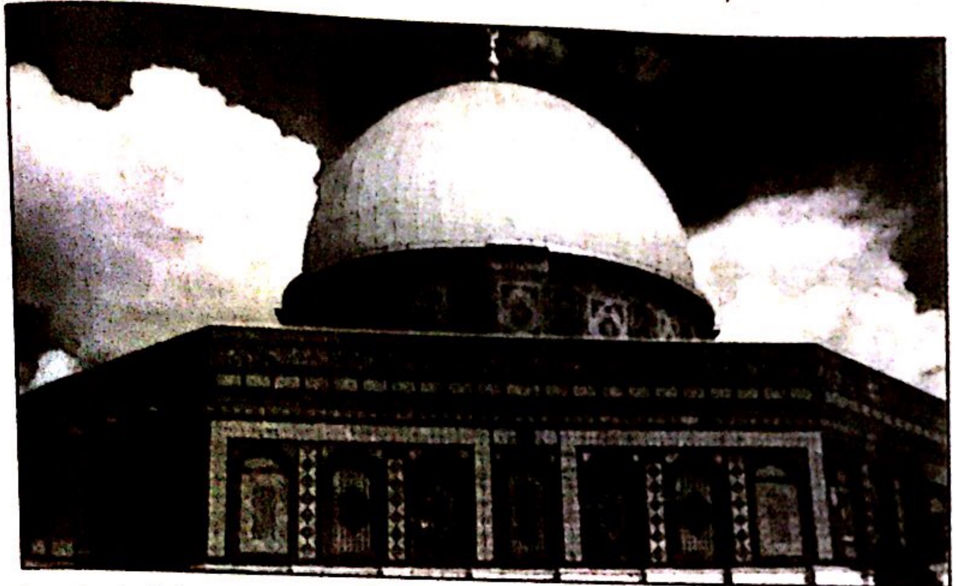
ابتدأ الحفل الذي قام بعرافته الشاعر فؤاد ديب بالوقوف دقيقة صمت على أرواح شهداء يوم الأرض وشهداء فلسطين وشهداء الأمة العربية وحركات التحرر العالمية. ومن ثم تحدث عن المناسبة وما تعنيه بالنسبة لجماهير شعبنا وكيف أصبح هذا اليوم خالداً في ضمير كل عربي.

بعد ذلك قامت الطفلة منى حسين بإلقاء قصيدة تجسد عدم التفريط بالوطن والحفاظ عليه.

من ثم قدمت الشاعرة علا أبو عجب ـ والقاصة سعاد مكارم ـ الشاعر يونس عطاري ـ الشاعر والقاص أحمد موسى الخطيب ـ والشاعر محمود السرساوي، بعض نتاجهم.

«القدس» عنوان الندوة السنوية لاتحاد الكتاب العرب

عصـام سـلامـة



(بعد سبعين عاماً من الحفريات الأثرية المكثفة في أرض فلسطين توصل علماء الآثار إلى استنتاج مخيف: الأمر مختلق من الأساس، فأفعال الآباء هي مجرد أساطير شعبية، ونحن لم نهاجر لمصر ولم نرحل من هناك، ولم نحتل هذه البلاد، وليس هناك أي ذكر لامبراطورية داوود وسليمان، والباحثون والمختصون يعرفون هذه الوقائع منذ وقت طويل، ولكن المجتمع لايعرف..).

وردت هذه الفقرة أعلاه في مقدمة مقالة لعالم الآثار الإسرائيلي البرفسور: زئيف هرتسوغ ونشرت في صحيفة (هآرتس العبرية بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٩٩م. ونشرتها صحيفة السفير اللبنانية بتاريخ ١/١١/١٩٩٩م، ص(١٥) نصوص من الصحافة الإسرائيلية.

إن سطوع هذه الحقيقة التاريخية تكشف زيف «الحق التاريخي» الإسرائيلي والتي جاءت من أحد علماء الكيان الصهيوني نفسه.. بالإضافة إلى شهادات وأبحاث ومكتشفات العديد من المؤرخين والعلماء والباحثين العرب وغير العرب، تؤكد جميعها بما لايدع مجالاً للشك، أنه ليس لليهود في فلسطين أو القدس أو الشرق العربي، أي حق يذكر، وأن كل ادعاءاتهم باطلة من أساسها، وهي ليست سوى أساطير وخرافات زائفة، لاتستند إلى أي دليل مادي أو تاريخي ملموس.

تبرز أهمية مدينة القدس باعتبارها كانت ولاتزال تشكل جوهر الصراع العربي ـ الصهيوني وركيزته الأساسية القضية الفلسطينية، خاصة في هذه الفترة بالذات وذلك على إثر المأزق الكبير الذي وصلت إليه التسوية السياسية الجارية بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية حول ما يسمى بمفاوضات الوضع النهائي، كما أن موضوع القدس ليس مطروحاً أصلاً في هذه المفاوضات، اللهم إلا من الزاوية الدينية (الشكلية) فقط؟!

ونظراً لأهمية موضوع مدينة القدس على كافة الأصعدة السياسية والثقافية والتاريخية والقانونية أقام اتحاد الكتاب العرب ندوته السنوية بدمشق يوم الاثنين الموافق ٢٧/٣/٢٠٠٠م، والتي خصصت هذا العام لمدينة «القدس».

وتوزعت أعمال هذه الندوة على فترتين صباحية ومسائية، تخللها أربع جلسات، وألقي فيها كلمتان الأولى: للدكتور علي عقلة عرسان ـ رئيس اتحاد الكتاب العرب، والثانية: للدكتور منير الحمش مقرر جمعية البحوث والدراسات في الاتحاد.

كما ألقيت في الندوة أربع محاضرات لباحثين مختصين، ثم التعقيب على كل منها من باحثين آخرين، سوف نتطرق لهم في هذا السياق لاحقاً.

وكذلك جرى نقاش حيوي من الأخوة الحضور من المهتمين، وقد عقدت أعمال هذه الندوة للفترة الصباحية في المركز الثقافي العربي بالمزة، واستكملت بالفترة المسائية في مقر اتحاد الكتاب العرب.

افتتحت الندوة الساعة العاشرة صباحاً حيث ألقى الدكتور علي عقلة عرسان كلمة «القدس»، قدّم فيها استعراضاً شاملاً وتاريخياً لمدينة القدس منذ النشأة والتأسيس على يد العرب الكنعانيين، ونكر الغزوات التي تعرضت لها المدينة على يد الفرس والرومان، حتى عودة القدس إلى المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، إلى الغزوة الصليبية، حتى استعادها صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين، ثم تطرق للمدينة في عهد المماليك ومن ثم العهد العثماني حتى الانتداب البريطاني على فلسطين والقدس وبدء الغزوة الصهيونية وصولاً إلى حرب ١٩٤٨م، وقيام دولة إسرائيل على جزء من فلسطين حتى حرب ١٩٦٧م، واحتلال كامل فلسطين وبعض الأراضي العربية إلى يومنا هذا.

ونورد هنا أهم ما جاء في هذه الكلمة الجامعة الشاملة للدكتور علي عرسان: (القدس: «تنزيه الله تعالى»، والبيت المطهر، ومطهر الذنوب، وبركة، هكذا نجد معانيها في لسان العرب. وهي في لغتهم الأقدم «الكنعانية»: مدينة السلام «أورسالم» أو «أورشليم» حسب تسمية العرب الكنعانيين الذين اختطوها وأشادوها عام ٣٢٠٠ق.م في مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد، وسكنوها وانتسبوا إليها ونسبوها إليهم).

وعن المشروع الصهيوني في فلسطين يقول الدكتور علي عرسان في فقرة أخرى الآتي:

(وأخذ المشروع الصهيوني يتصاعد وينمو مهدداً القدس وفلسطين والعرب، واكتسب الكيان الصهيوني اعترافاً دولياً، بوصفه «دولة عضواً في الأمم المتحدة»، على أساس القرار رقم (١٨١) تاريخ ٢٩/١١/١٩٤٧م، الذي اوصى بتدويل القدس، وأكدت الأمم المتحدة ذلك بقراريها (١٩٤) تاريخ ١١/١٢/١٩٤٨ و(٣٠٣) تاريخ ٩/١٢/١٩٤٩م، وفي السابع من حزيران ١٩٦٧ سقط القسم العربي من المدينة بأيدي الصهاينة إثر الهزيمة التي حلت بالعرب في حرب حزيران، وأصبحت القدس كلها بمتناول المشروع والحلم الصهيونيين).

وختم الدكتور علي عقلة عرسان كلمته بالقول:

(ولكن.. على الرغم من ذلك كله فإن صدمة القدس مؤهلة لأن تحدث شيئاً، إنها تعطي دفعة في كل الاتجاهات العربية الرسمية، وغير الرسمية، المنهزمة والصامدة، باتجاه مزيد من التفكير والتدبير والعمل العربي المنقذ على طريق تحرير الأرض والإنسان).

بعد ذلك ألقى الدكتور منير الحمش كلمته تحدث في مستهلها عن الندوة وتأسيس جمعية البحوث والدراسات في اتحاد الكتاب العرب فقال:

(كان اختيار الجمعية القدس كموضوع لأول ندوة تعقدها، قد حصل في العام الماضي، على أمل أن تعقد الندوة في ١٥/٧/١٩٩٩م، وهو تاريخ له دلالات في تاريخ القدس وتاريخ المنطقة العربية.

ففي ١٠٩٩/٧/١٥م، أي قبل تسعمائة سنة من العام الماضي، دخل الفرنجة القدس في غزوتهم الصليبية بعد حصار دام تسعة وثلاثين يوماً، ليرتكبوا مجزرة هائلة حيث قتلوا مايزيد عن الثلاثين ألفاً من العرب، منهم عشرة آلاف داخل حرم المسجد الأقصى، ولم يفرق الفرنجة المتوحشون بين مسلم ومسيحي، واستطاع الفرنجة إقامة مملكة القدس سنة ١١٠٠م، كما أمكنهم توسيعها لتمتد من بيروت شمالاً إلى العريش جنوباً).

وفي مقاربة بين الغزوة الصليبية لفلسطين والغزوة الصهيونية لها، أضاف الدكتور منير الحمش قائلاً: (ما أشبه اليوم بالبارحة، فها هي القدس تعود مرة أخرى لتئن تحت احتلال جديد كفراية الاحتلال الصليبي، ولكن هذه المرة تحت راية النجمة السداسية لا الصليب. هل يعيد التاريخ نفسه؟ أجل ولكن على نحو مهزلة ما كانت لتستمر لولا استمرار الهزيمة من قبل أنظمة ليس لها اي ارتباط بمشكلات الوطن الحقيقية).

وفي نقطة أخرى من كلمته قال الدكتور الحمش: (ها هم يهودون ما لم يهود في التاريخ، أجل يهودون ظاهر القدس، وهيهات أن يخترقوا جوهرها العربي الإسلامي المسيحي).

في الجلسة الأولى قدّمت الدكتورة خيرية محاضرتها التي كانت تحت عنوان: القدس تاريخياً، حيث بدأت، بمقدمة سريعة وموجزة عن بيت المقدس، ثم تحدثت عن حدود بيت المقدس، كما قدمت شهادات عن القدس من أبنائها، وقدمت استعراضاً لموقع بيت المقدس، وتحدثت عن القدس منذ الفتح الإسلامي، كما تعرضت للقدس في عهد المماليك والعهد العثماني ولكن من زاوية التوسع في العمران والانجازات والتطور ثم تحدثت عن فترة الانتداب البريطاني على فلسطين وكيف تم تقسيمها بقرار من الأمم المتحدة وتحدث عن بناء القدس الجديدة وتوسيع الاستيطان اليهودي في القدس (الغربية)، كما تحدثت عن أول مؤتمر عربي يعقد في القدس عام ١٩٦٥، وكذلك تحدثت عن المشروع الإسرائيلي للقدس الكبرى.

نقتطف هنا بعضاً مما جاء في هذه المحاضرة الهامة والقيمة، عن حدود بيت المقدس قالت الدكتورة خيرية: «هي أوسع من حدود المدينة كما جاء في قوله تعالى: †وباركنا حوله..★، وكما ورد في الحديث الشريف: بيت المقدس وأكلاف بيت المقدس».

وعن القدس وضواحيها أضافت الدكتورة خيرية قائلة: «كان قدرهما واحداً، ووقعا في الأسر مرتين في الأسر الفرنجي والإسرائيلي، وسجل أهلهما صفحات رائعة من البطولة، وهيأت الأقدار أن يفك أسرهما من الفرنجة، والأمل يحدوهما نحو من يخلصهما من الأسر المتطاول (الإسرائيلي) ليرسما معاً مصيراً واحداً لا انفصام فيه».

وعن شهادات أبناء القدس فيها قالت الدكتورة خيرية: «عن المقدسي في القرن الرابع الهجري، القرن العاشر الميلادي في كتابه: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، حين تغنى في مدينته فقال: هي أجلُّ مدينة لأنها جمعت الدنيا والآخرة». وقالت: عن صاحب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» مجير الدين العليمي الحنبلي، ابن القدس ومؤرخها في أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، يقول: «إنها مقصد الأولياء ومدفن الرسل ومهبط الوحي».

وعن تقرير مصير القدس قالت الدكتورة خيرية: «هناك مواجهتان عسكريتان قررتا مصير القدس وقراهما هما: معركة القسطل ومذبحة دير ياسين، الأولى أدّت إلى انهيار المعنويات في القوات الفلسطينية، والثانية كانت أكثر حسماً لتأثيرها النفسي، حيث أصبحت رمزاً للنكبة والمأساة الفلسطينية حيث أسهمت في إجلاء القرى المجاورة».

وعن تعقيب الأستاذ عدنان مراد على محاضرة القدس تاريخياً فقد كانت في مجملها عبارة عن استذكار لخواطر شجية وعن بعض المشاهدات والروايات لحرب عام ١٩٤٨م ونكبة فلسطين، وأن المشكلة الأساسية تتمثل في العقلية العربية المستسلمة والتخاذل الرسمي العربي والتعنّت وغياب الوحدة العربية.

في الجلسة الثانية ألقى الأب الجليل انطوان ضو محاضرته التي كانت تحت عنوان: القدس والغرب، قال فيها: «نحن لانقبل بتهويد القدس مهما كلف الأمر نحن لانقبل بالتهويد ولا بالتدويل، نحن مع أن تكون القدس عربية، تؤمن فيها حرية الديانات السماوية». وأضاف أنطوان ضو قائلاً: «إن موضوع القدس موضوع كبير، وأنا أتمنى أن تعقد مؤتمرات حول هذا الموضوع الهام»، وركز الأب الجليل على موضوع العروبة فقال: «العروبة تعني الحوار والانفتاح على الديانات، والعروبة صيغة عيش مشترك بين كل الثقافات وكل الحضارات».

وأضاف الأب ضو قائلاً: «يتم التحدث في هذه الأيام عن «القدس الشريف»، والقدس الشريف غير العاصمة السياسية، نحن نريد أن نحافظ على القدس من الناحية الإدارية» وختم حديثه قائلاً: نحن مع الحق العادل والشامل والسلام الحقيقي ومع عودة فلسطين والقدس والجولان وجنوب لبنان، نحن مع العروبة.

وقد عقّب على محاضرة القدس والغرب د. خلف الجراد فقال: «إنه يجب أن نعلم الخلفية التي ينطلق منها الغربيون بشكل عام في تأييد إسرائيل»، ويمكن أن نتحدث فقط عن النموذج الأمريكي في هذا المجال وضرب مثالاً على ذلك فقال: «جاء في كتاب (النبوءة السياسية) لباحثة أمريكية، عملت في البيت الأبيض: تعمل في الولايات المتحدة فقط ٢٥٠ منظمة انجيلية ممالئة لإسرائيل، تمارس في خدمة المشروع الصهيوني أنشطة مختلفة، كما أنهم يقومون بالتمويل المالي لعمليات الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية»، وأضاف الدكتور خلف قائلاً: «هناك مجموعة من الروابط والجماعات والمؤسسات المهيمنة على الإعلام الأمريكي هيمنة كاملة تسير في هذا الاتجاه لدعم الكيان الصهيوني بشكل عام».

أما الجلسة الثالثة فقد كانت لمحاضرة الدكتور أحمد برقاوي التي كانت بعنوان: الصراع العربي الصهيوني ومكانة القدس في هذا الصراع، تحدث فيها عن القدس من الزاوية الفلسفية مركزاً على مسألة جوهرية وهي عروبة القدس، وعن العربي المسلم والعربي المسيحي، وتحدث عن الجانب السياسي في موضوع القدس والحلول المطروحة الخ..

(تجدر الإشارة هنا إلى أن محاضرة الدكتور أحمد برقاوي منشورة في هذا العدد من الهدف بشكل مستقل)

وقد عقّب الدكتور هيثم كيلاني على محاضرة الدكتور برقاوي قائلاً:

(ما من مدينة في العالم تغيرت معالمها في مدى (٣٤) سنة من الاحتلال كما تغيرت مدينة القدس)، وأضاف د. هيثم كيلاني قائلاً: إن قضية القدس بقيت حية حادة طوال القرن العشرين وبقيت معلقة إلى القرن الحادي والعشرين بفضل أمرين اثنين أولهما: أن العرب تخلوا عن القضية الفلسطينية حينما عهدوا لـ (م.ت.ف) بتولي هذه القضية، وثانيهما: هو أن القيادة الفلسطينية التي صنعت إعلان مبادئ أوسلو، تخلت هي أيضاً عن القدس، إذ وافقت على إرجاء بحثها إلى المرحلة النهائية. وختم الدكتور كيلاني تعقيبه بالقول: (ما يجري في القدس هو ميزان قوى، القدس هودت، وهي على حافة الضياع).

في الجلسة الرابعة كانت المحاضرة للدكتور غازي حسين وهي بعنوان: القدس والقانون الدولي، قدّم فيها شرحاً تفصيلياً لقضية القدس من جانب القانون الدولي وتحدث عن قرارات الأمم المتحدة الخاصة بمدينة القدس، مستعرضاً القضية منذ احتلال القدس أي منذ نكبة فلسطين وحتى الآن وفي سياق محاضرته قال: (الوجود الإسرائيلي في القدس الغربية قام على الاحتلال والضم والتهويد خلافاً لمبادئ القانون الدولي)، وعن تهويد القدس الشرقية قال: (إن عروبة القدس لاتقتصر على القدس المحتلة عام ٤٨م، أي القدس الغربية، وإنما تمتد إلى القدس الشرقية المحتلة عام ١٩٦٧م، وتحدث عن إحراق المسجد الأقصى في ٦٩/٨/٢١م من قبل العصابات الصهيونية ومخالفة بذلك القانون الدولي وتحدث عن (مشروع القدس الكبرى) فقال: (تصل حدود القدس الكبرى إلى رام الله شمالاً وإلى بيت لحم جنوباً وإلى أبو ديس والعيزرية شرقاً وبذا استولت سلطات الاحتلال الإسرائيلي على ثلث مساحة الضفة وضمتها إلى القدس)، وختم حديثه قائلاً: «إن اهتمام العالم الديني بالقدس لاينفي عروبتها».

خلاصة القول: كانت ندوة القدس عالية القيمة من حيث المحتوى والمضمون وتنوع المحاضرات والتعقيبات وشملت كافة الجوانب سياسياً وثقافياً وتاريخياً وقانونياً ●●

الصراع العربي الصهيوني ومكانة القدس في هذا الصراع

د. أحمد برقاوي

أُلقيت هذه المحاضرة في الندوة السنوية التي أقامها اتحاد الكتاب العرب في مقره بدمشق يوم الاثنين ٢٠٠٠/٣/٢٧م والتي خصصت هذا العام لمدينة «القدس» ونظراً لأهمية هذه المحاضرة تنشر الهدف أبرز ما ورد فيها:

بدأ الدكتور البرقاوي محاضرته بالقول: سوف أتناول القدس من الزاوية الفلسفية، بادئاً قولي بالسلب، ليس لليهود أي حق مهما كبر أو صغر في أي مكان في فلسطين والشرق العربي، واستناداً إلى هذا السلب، فإن إعادة التاريخ إلى مجراه الحقيقي لايتم إلا بالمقاومة لهذا النشاز، بمعنى أن هذا الكيان نشاز تاريخي، لاينتمي إلى هذا المحيط العربي من كافة الجوانب: اثنياً، ثقافياً، لغوياً، وتاريخياً.

إن هذه المدينة العربية المسيحية الاسلامية منطلق رمزي لايأتي عليه أي شكل من أشكال النزوع للإقرار بالأمر الواقع، وهي بالتالي تعتبر مدخلاً ضرورياً للنظر إلى القضية برمتها وبهذا المعنى.. القدس مفهوم ومكان، بل هي مكان مفهوم بالمعنى المجرد للكلمة.

القدس مكاناً.. اختصارٌ للمكان الأوسع فلسطين، والقدس مفهوماً.. هي عقيدة تحمل في ذاتها معنى شمولية الصراع، قولي هذا.. هو قول في الحقيقة بمعزل عن أشكال سلبها والحقيقة تظل تمتلك قوتها بمعزل عن أشكال نفيها، وبهذا المعنى.. فالقدس فلسفةٌ في الممارسة تتحد فيها المعرفة والسلوك ولاتقر بأي انفصال بينهما.

ما معنى أن القدس فلسفة في الممارسة؟ إنها نظرة إلى العالم، وتحويل النظرة هذه مدخلاً إلى الممارسة، هذه النظرة العامة إلى القدس تتعين بأشكالٍ من الوجود، وكلها في النهاية تنطوي على مفهومٍ واحدٍ للوجود.

إذا انطلقنا أولاً: من أن القدس موجود عربي، فانا أتحدث عن صفة ماهوية لهذا المكان، القدس موجود عربي مسيحي، القدس موجود عربي إسلامي، القدس موجود عربي إنساني، دون الصفة المتكررة للعربية، لايمكن إطلاقاً أن نحدد هذا الوجود على نحو حقيقي. الوجود هنا كما هو في الواقع بوصفه وجوداً مادياً، والوجود أيضاً كتجربة إنسانية، وتحديد الوجود على هذا النحو من الماهية شيء تاريخي.

إن التحديد الأول لهذا الوجود أنه عربي، فهو صفة أساسية ماهوية تحدد على نحو ضروري أحوالها مسيحية، إسلامية، إنسانية. وتابع الدكتور برقاوي حديثه قائلاً: قد يقال.. أنه قد أتى زمن صارت فيه القدس يونانية، رومانية، صليبية، يهودية، ولكن يجب أن نميز بين الوجود الحقيقي في ماهيته التاريخية، وبين الأحوال الطارئة على هذا الوجود، فالأحوال الطارئة إنما جاءت بفعل عنفي، غزو، حرب، أولاً: فالرومان والصليبيون واليهود غزاة يزولون بفعل حقيقة ماهية هذا الوجود العربي، وثانياً: بفعل الممانعة.

الغزو وجود زائف، أي قابل للزوال.. وهذا ما حصل فعلاً، واستناداً إلى هذا المدخل: تحدد القدس الغزو كوجود زائف من جهة والوجود الأصيل من جهة أخرى، دليلنا على ذلك تاريخي صرف فالعبرانيون احتلوا القدس عام ١٠٠٠ق.م، وانتهى احتلالها عام ٥٨٧ق.م، وزال الحكم الفارسي عن القدس عام ٣٣٢ق.م، بعد أن احتلها الاسكندر المقدوني، وزال الحكم اليوناني بعد أن احتلها الرومان عام ٦٣ق.م، إلى أن فتحها المسلمون عام ٦٣٦م، ومنذ تأسيس القدس حتى الفتح الإسلامي لها، كانت القدس مدينة ذات طابع عربي كنعاني.

وعينا يتشكل من خلال واقعة وجود القدس، فيزداد حضور القدس في الوجدان بسبب تاريخ السيطرة عليها، وأشكال الممانعة التاريخية لأي وجود غريب غير عربي.

من هنا.. صارت القدس، فلسطين نكبة، والقدس عنوانها، وما من خطابٍ قومي إلا وتحتل القدس وفلسطين مكاناً أساسياً فيه، ولهذا لم يعد تصور الوجود القومي خارج فكرة تحرير القدس العربية بوصفها رمزاً للحرية.. فلا معنى للوجود الحر العربي بوجود القدس محتلة.. كما فلسطين، وهكذا.. فإن مفهوم القدس ينطوي على فكرة الحرية.. فهي في وجودها بالوجدان وغيابها في آخر غريب غازٍ تخلق مأساة الوجود القومي العربي برمته.. وعن الحلول التي تطرح الآن بخصوص القدس، قال الدكتور برقاوي: إنها حلول واهية.. مثل: عاصمة لدولتين، تقسيمها بين دولتين، حرية العبادة فيها مع بقائها في يد الغريب، بديل للقدس قريب منها.. الخ.

إن كل هذه الحلول.. تبقي على الوعي المأساوي الفاجع في النفس العربية، لأنها حلول لاتنال من الوعي بالمأساة، وكل حلٍ لايلامس حقيقة هذه المأساة.. فهو حل زائف.

القدس في وعي العربي المسلم والعربي المسيحي، وعيٌ مركب ومتحد.. أي لا إنفصال بين الوعيين، لأن المسيحي والإسلامي كلاهما وعي يتحدد بصفة أخرى أساسية.. أنها مسيحي عربي وإسلامي عربي.

القدس مسيحية.. ليس فقط لأنها تاريخ، بل لأنها تجربة تبدأ بعلاقة يسوع بها من حيث هي مكان الصلب والقيامة، فالقدس مكان الفداء من جهة، ومكان الارتقاء إلى المطلق من جهة أخرى، إنها مكان السمو لمن هو بصدد الارتقاء للاتحاد بالمسيح عبر المحبة.. هذا المكان ذاته، كان محطة الرسول الكريم للارتقاء إلى السماء.

تختصر جملة: «القدس درب من مروا إلى السماء...»، التجربة الوجدانية التي يعيشها المسيحي والمسلم معاً، هنا تتحول علاقة القدس إلى علاقة المكان الأقرب إلى السماء وعلاقة حب المكان بإله واحدٍ لجميع البشر، فيما القدس في الرأي اليهودي عاصمة مملكة وهيكل لعبادة يهوه، ويهوه إله خاص لجماعة أو قبيلة تخوض الحروب... بينما القدس إسلامياً ومسيحياً هي عيش تجربة مع السمو، من هنا نفهم الفرق بين: حائط البراق وحائط المبكى، (وهما إسمان لحائط واحد)، في حالة البراق: نجد معنى الارتقاء والسمو، عند هذا الحائط يعيش المسلم تجربة نبي جاءإلى الناس كافة، هنا في هذا المكان حط البراق الذي أقل الرسول الكريم إلى السماء.. ولهذا فالقدس هنا مكان تجربة صاحب الرسالة، فاستعادتها عبر العبادة فيها نوع من الشوق الدائم إلى المطلق. بينما «حائط المبكى» هو بكاء على طللٍ غابرٍ يولد حقداً على الآخر، فهيكل سليمان ليس مكاناً للوصول إلى الإله الإنساني، بل العودة إلى تجربة الخراب والتدمير والأحقاد؟!

التجربة الأولى: قائمة على الحب، حب الله ومن صعد إليه.

وأما التجربة الثانية: فهي قائمة على الكره ونفي الآخر.

وعن السياسة في هذا المجال، قال الدكتور برقاوي: إن مأساة السياسة في الوطن العربي فيما يتعلق بفلسطين والقدس، أنها مؤسسة حتى الآن على أطروحة خاطئة ألا وهي: إن السياسة هي فن الوصول إلى الممكن...، حسب تعريفها المعروف، لكن في قضية وجودية كقضية القدس، لامجال لنؤسس السياسة على الممكن، الذي هو في الأصل ليس الممكن الذي نؤسسه نحن، بل الممكن الذي تؤسسه الدولة العنصرية (إسرائيل) ذاتها، وبالتالي فإن الذي يؤسس الممكن العربي الإسلامي المسيحي فيما يتعلق بالقدس، هو الكفاح المثلث الأبعاد هذا، لكنه ذو بعد واحد عربي، عربي إسلامي، عربي مسيحي، أي أن القدس توحد الكفاح القومي والديني في صيغة كفاح من أجل الوجود الحقيقي الذي يزيف الآن عبر تهويد القدس سكاناً وسماءً وأسماء وتاريخاً.

وختم الدكتور برقاوي محاضرته بالقول: يجب أن لا نمل من التذكير بهذه المأساة.. كي نظل على صلة وجدانية بالدرب إلى السماء ضد من يعبدون اليوم الدرب إلى الهزيمة ●●

تصريح صحفي

تعقيباً على تصريحات رئيس الوزراء الكندي حول استقبال عدد من اللاجئين الفلسطينيين في كندا.

أدلى الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الرفيق ماهر الطاهر بتصريح قال فيه:

إن قضية اللاجئين الفلسطينيين الذين شردوا وطردوا من ديارهم قسراً عام ١٩٤٨ على يد العصابات الصهيونية، لايمكن أن تحل حلاً حقيقياً إن لم تستند إلى تطبيق قرارات الشرعية الدولية خاصة القرار ١٩٤ الذي يؤكد على حق اللاجئين في العودة إلى أرضهم وديارهم.

إن الجبهة الشعبية تعلن رفضها القاطع ومن حيث المبدأ لأية حلول تتعارض مع حق العودة. وتدعو العالم أجمع إلى مساندة الحقوق الفلسطينية العادلة.

وتؤكد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن لاسلام ولا استقرار في المنطقة ما لم يتم ضمان حق العودة لخمسة ملايين فلسطيني مشردين في الشتات.

المكتب الصحفي

٢٠٠٠/٤/١٣م

لجنة الدفاع عن حق العودة في اليونان

بادر عدد من أبناء فلسطين المقيمين في اليونان والذين تربى وترعرع غالبيتهم في مخيمات الوطن والشتات وتمسكوا على الدوام بتاريخهم وأرضهم وبحنينهم الشديد والدائم إليها بادروا إلى اللقاء للبحث في السبل الأمثل والكفيلة بدعم حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم وتداعوا إلى تأسيس (مركز العودة الفلسطيني).

والمركز هيئة أهلية مستقلة تنظيمياً عضويته مفتوحة أمام الناشطين الفلسطينيين والعرب، واليونانيين على حد سواء باعتبار أن النضال من أجل العودة يهم أيضاً أفراد المجتمعات المضيفة للاجئين الفلسطينيين.

ويعمل المركز وفق المنطلقات التالية:

- لما كان النضال لتحرير الأرض يعني في الوقت نفسه النضال لعودة اللاجئين وشكل هذا الترابط أساس البرنامج الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية ولمجمل أطراف حركة التحرر الوطني الفلسطينية فإننا نعيد التأكيد على وحدة الأرض والشعب التي فرطت بها الاتفاقات المعقودة والاتفاقات القادمة. وفي السياق ذاته تأكيد وحدة قضية اللاجئين الفلسطينيين أينما كانوا في المنافي والضفة الغربية وقطاع غزة أو مهجرين داخل حدود فلسطين التاريخية وهذه الوحدة تقرر بدورها ترابط قضية لاجئي المنافي الذين يشكلون نحو ٧٠٪ من مجموع الشعب الفلسطيني مع لاجئي فلسطين في نضالهم الواحد من أجل العودة.

- التمسك الفعلي بقراري الجمعية العامة للامم المتحدة (١٨١ لعام ١٩٤٧ و١٩٤ لعام ١٩٤٨) اللذين مازالا يشكلان الأساس الدولي الذي يحفظ حقوق اللاجئين في أرضهم وممتلكاتهم والعودة إليها.

- الرفض والتصدي لمؤامرة (التوطين) التي يروج لها الآن من قبل الدوائر الأمريكية والإسرائيلية وبعض الأطراف العربية المرتبطة بهما وخاصة في ما يتعلق باللاجئين الفلسطينيين المقيمين في لبنان الذين يعانون أكثر الأوضاع سوءاً بين لاجئي المنافي بسبب حرمانهم من معظم الحقوق المدنية. لذلك فإننا ندعو الجهات الرسمية اللبنانية والمدنية إلى التمييز بين مسألتي الحقوق المدنية والتوطين. حيث أن نيل هذه الحقوق الذي يخفف بما لايدع مجالاً للشك من معاناة اللاجئين النفسية والمادية ويتعارض مع مخططات التوطين بل ويفشلها ايضاً.

- إن حق العودة لاينتقص، أو يتأثر بإقامة دولة فلسطينية بأي حدود وبأي شكل. وبموجب هذا نعلن عدم اعترافنا ورفضنا المطلق لأي اتفاق أو معاهدة مؤقتة أو دائمة باسم الشعب الفلسطيني يتنازل عن أي جزء من هذه الحقوق أو يختصرها او يفسرها، إلا بالعودة غير المشروطة إلى بيوت اللاجئين التي طردوا منها عام ١٩٤٨ أو يقبل التعويض ثمناً للوطن أو بديلاً للعودة ونعتبرها باطلة واقعاً وقانوناً ولايلزمنا بشيء.

ونطالب بالتعويض عن المعاناة النفسية والأضرار المادية وجرائم الحرب التي لحقت باللاجئين خلال ٥٢ عاماً بناء على قرارات الأمم المتحدة والثوابت القانونية.

الأعضاء المبادرون:

١- انطون كاباتايس (أبو خريستو)	٢- محمود خزام	٣- شحادة الشهابي
٤- مهيار القطافي	٥- موفق شواهنة	٦- سالم عقل
٧- سامي عصفور	٨- عامر رشدان	٩- منير فرسون
١٠- نسيم الأطرش	١١- جاد الله نصار	١٢- محمود العربي الشهابي

العماد مصطفى طلاس يستقبل د. جورج حبش



أدلى الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالتصريح التالي:

استقبل السيد العماد أول مصطفى طلاس نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع في الجمهورية العربية السورية الدكتور جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ويرافقه أبو أحمد فؤاد وماهر الطاهر عضوا المكتب السياسي للجبهة.

دار البحث خلال اللقاء حول التطورات السياسية على الصعيدين العربي والفلسطيني وقد ثمن د. حبش موقف سوريا بقيادة الرئيس حافظ الأسد في قمة جنيف مؤكداً أن السلام الشامل في المنطقة لايمكن أن يقوم إلا على أساس انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضي العربية المحتلة واستعادة كامل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وذات السيادة وعاصمتها القدس.

ومن جانبه أكد السيد العماد مصطفى طلاس وقوف سوريا إلى جانب الكفاح العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه الوطنية الثابتة.

المكتب الصحفي

٢٠٠٠/٤/١٣م

السيد عبد الحليم خدام يستقبل د. جورج حبش



أدلى الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالتصريح التالي:

استقبل السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية العربية السورية الدكتور جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بحضور الرفيقين ماهر الطاهر وأبو أحمد فؤاد عضوي المكتب السياسي للجبهة.

وقد دار البحث خلال اللقاء حول التطورات السياسية على المستويين الفلسطيني والعربي. وقد ثمن وفد الجبهة مواقف سوريا بقيادة الرئيس حافظ الأسد في قمة جنيف وتمسكها بثوابت الحل الشامل في المنطقة والقائم على أساس قرارات الشرعية الدولية ومبادئ القانون الدولي.

وقد أكد الدكتور حبش أن لاسلام حقيقي في المنطقة ما لم يتم استعادة كامل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني مؤكداً على أن حق العودة للاجئين الفلسطينيين الذين هجروا من ديارهم عام ١٩٤٨ يمثل جوهر قضية فلسطين.

ومن جانبه أكد السيد عبد الحليم خدام وقوف سوريا ودعمها الثابت للكفاح العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه الوطنية الثابتة.

المكتب الصحفي

٢٠٠٠/٤/٩

الوضع الاقتصادي الفلسطيني عشية انتهاء المرحلة الانتقالية

حلقة (٢)

د. غانية ملحيس*

هذه المادة هي عبارة عن محاضرة ألقتها د. غانية ملحيس في ندوة خاصة أقامها منتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني، فرع قطاع غزة بتاريخ ١٩٩٩/١٠/٢ ونظراً لأهميتها تعيد الهدف نشر أبرز ما ورد فيها:

عند مقارنة الوضع الآن بما كان عليه عشية بدء المرحلة الانتقالية يتبين الآتي، وسأبتعد عن الأرقام لألخص الملامح الرئيسية والاتجاهات العامة.

١ـ تدل المعطيات على وجود تراجع في الدخل القومي الإجمالي والناتج المحلي الإجمالي الفلسطيني الحقيقي لاتتوفر بيانات دقيقة حول نسبته، لكن التقديرات تشير إلى أنه يصل إلى أكثر من الربع.

٢ـ تراجع متوسط نصيب الفرد الفلسطيني من الناتج المحلي الإجمالي بنسبة أكبر بسبب ارتفاع معدلات النمو السكاني.

٣ـ حدوث تحول بالغ الأهمية لجهة تقلص القاعدة الانتاجية الفلسطينية وتراجع قطاعات الإنتاج السلعي /الزراعة والصناعة/ وهي القطاعات القادرة على خلق دخل متجدد، واتجاه مضطرد للتحول نحو قطاع الخدمات غير الإنتاجية ـ ولهذا الموضوع تأثير بالغ الأهمية لجهة تعميق وزيادة التشوه في تركيبة الاقتصاد الفلسطيني وتهميشه.

٤ـ التناقص المضطرد في قدرة الاقتصاد المحلي الفلسطيني على خلق فرص عمل جديدة وتراجع قدرته على التشغيل واستيعاب العمالة الفلسطينية.

٥ـ زيادة الاعتماد على سوق العمل الإسرائيلي بما في ذلك العمل في المستعمرات الاستيطانية.

٦ـ تنامي ظاهرة البطالة بشكليها السافر والمقنع.

٧ـ انخفاض في معدلات الأجور الحقيقية والقدرة الشرائية يتزامن مع ارتفاع في الأسعار ومعدلات التضخم.

٨ـ تراجع مضطرد في معدلات نمو الاستثمار الخاص، سواء بالنسبة لإنشاء المشاريع الجديدة، أو بالنسبة للقيام بالتوسعات في المشاريع القائمة، بل أن هناك عديد من المشروعات القائمة بدأت تغلق أبوابها.

٩ـ تسارع النمو في القطاع الحكومي بما لايتناسب وحاجة البلاد أو مع قدرة الاقتصاد المحلي على تحمل تمويل تكاليف هذا النمو. فضلاً عن أن هذا النمو في عدد العاملين في القطاع الحكومي وفي تكاليف هذا القطاع لايصاحبه تحسن في الأداء الحكومي كماً ونوعاً.

١٠ـ اتساع في الفجوة بين الإنتاج والاستهلاك، وبين الوارد والصادر، وبين نمو القوى العاملة والقدرة على التشغيل.

١١ـ انخفاض مضطرد في حجم المساعدات الدولية، يرافقه تسارع في حجم المديونية الخارجية وتزايد في أعباء خدمتها، مما سيكون له مخاطر مستقبلية على التنمية وعلى مستقبل الأجيال القادمة.

١٢ـ تنام في حجم اعتماد الاقتصاد الفلسطيني على الخارج، سواء على مساعدات الدول المانحة، حيث تعتمد كافة المشاريع التطويرية والاستثمار العام بالكامل على تلك المساعدات، وترتبط بما يتوفر منها، أو على العمل في الاقتصاد الإسرائيلي، أو على التصدير لإسرائيل أو على الاستيراد منها.

١٣ـ بطء النمو في العلاقات الاقتصادية الفلسطينية ـ العربية لكنه أيضاً يتخذ طابعاً مشوهاً حيث يتسارع نمو الواردات بمعدلات تفوق كثيراً معدلات نمو الصادرات الفلسطينية إلى تلك الأسواق. الأمر الذي يلقي بظلال الشك على إمكانية نمو وتطور هذه العلاقات بشكل صحي وبما يعزز الترابط والتكامل، ويؤسس لإرساء علاقات قادرة على النمو على أساس تبادل المنافع وتكافؤها.

١٤ـ إن المؤشر الإيجابي لنمو علاقات اقتصادية فلسطينية مباشرة مع العالم الخارجي، رغم أهميته في كسر احتكار إسرائيل للسوق الفلسطيني إلا أنه يتخذ طابعاً تجارياً بحتاً، ويحوّل السوق الفلسطيني إلى سوق استهلاكي /الوكالات وعقود التوزيع/ ويؤثر سلباً على القدرة التنافسية للصناعات الوطنية الفتية في الأسواق المحلية ويهدد وجودها. وهناك العديد من الأمثلة على تلك مثل صناعة الأحذية والجلود ـ الملابس ـ الأدوية الخ.

١٥ـ تسارع عملية الاستقطاب الطبقي الفلسطيني واتساع الفجوة الطبقية في المجتمع الفلسطيني والازدياد عدد الفقراء وخصوصاً الفئات التي تعاني من فقر مدقع.

قد يتساءل البعض، هل الصورة قاتمة إلى هذا الحد؟ أليس هناك إيجابيات في المرحلة الانتقالية؟ وجوابي على ذلك بالتأكيد بأن هناك العديد من التحولات الإيجابية ذات البعد الاستراتيجي الهام. لكنني اخترت أن أبدأ بالسلبيات أولاً لإشباع الرغبة الفلسطينية اللازمة لكل واحد فينا، بحكم الموروث التاريخي الظالم، وميلنا إلى التشاؤم، والرغبة في النقد الدائم للذات.

أما من الناحية الثانية، فيعود لاعتقادي بأن ما يجب أن يستأثر باهتمامنا هو ما يتواجد من سلبيات. فالإيجابيات التي تحققها حتمية وضرورة وأمر يتفق مع السياق العام للأمور. أما السلبيات فهي الاتجاه المعاكس لطبيعة الأمور



الذي يجب أن لا يكون، والذي يجب أن نتوقف عنده بالنقد والمساءلة.

ومع ذلك، فسأستعرض بعض ما أعتقده إيجابي وتحول جوهري، حتى لايصيبنا الإحباط الذي يؤدي إلى الخمول والإحساس بالعجز. وحتى نشعر ببعض الإنجاز الذي يحفزنا على مواصلة العمل والتقدم. ولضيق الوقت سأركز فقط على ما أعتقد أنكم ترونه وتلمسونه يومياً في قطاع غزة.

هناك تطور حقيقي ملموس في البنية التحتية - الطرق وشبكات المياه والكهرباء والهاتف والمجاري.

لقد قدمت أول مرة إلى قطاع غزة عام ١٩٩٤.. لم يكن هناك شارعاً واحداً مرصوفاً بما في ذلك شارع عمر المختار الذي كان مغطى بالرمل، ولم يكن هناك رصيفاً في أي من شوارع القطاع.. كان هناك انقطاع دائم في المياه والكهرباء.. كانت النفايات في كل مكان..

الآن.. ورغم استمرار الحاجة للمزيد.. غزة تحولت إلى مدينة أخرى. الشوارع والطرق - شبكات المياه والمجاري والكهرباء، خطوط الهاتف تضاعفت ثلاث مرات - أبراج غزة وصلت إلى ٨٢ برج - المنطقة الصناعية - المدارس، تقلص إلى حد كبير نظام الورديات الصباحية والمسائية، تحسنت ظروف التلاميذ في الصفوف نسبياً - زاد عدد المستشفيات والمستوصفات وتحسنت تجهيزاتها.

لن أتحدث عن التغير في الظروف السياسية الأمنية، فهي ليست موضوع حديثنا.. لكن قطاع غزة تحرر من رؤية المحتل الإسرائيلي الذي كان جاثماً على عنق كل واحد فينا. قطاع غزة أيضاً تمتع بأمن نسبي لم يشهده أحد منا منذ أمد بعيد.

كل هذا تحقق بزمن قياسي نسبياً، لأنه للمرة الأولى في التاريخ الحديث، يحكم الفلسطيني نفسه بنفسه. لكن ذلك يجب أيضاً أن لايحجب عن أعيننا قصوراً فلسطينياً غير مبرر في معظم مناحي الحياة - السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية.. ويجب أن لايمنعنا من رؤية هامش هام متاح يمكننا من تحسين أدائنا لو أحسنا استخدامه، بامتلاك الرؤية، ووضوح الأهداف والسياسات، والتخطيط والبرمجة والتنفيذ.

وفيما يتعلق بالجزء الثالث من المداخلة المتعلقة بالمسؤوليات عن هذا القصور، سأحاول في عجالة أن أركز على ما أعتقده قصور تتحمل مختلف الجهات مسؤولية فيه:

أولاً: الخصم الإسرائيلي/ تشير كل الدلائل إلى أن الطرف الإسرائيلي بمختلف توجهاته الفكرية والعقائدية والحزبية (حزب العمل والليكود وكل القوى المتنفذة فيما يسمى باليسار الصهيوني) لم ينضج بعد إلى الحد الذي يسلم فيه بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرض وطنه. حتى في إطار الحكم الذاتي تدلل على ذلك كل الاتفاقات المبرمة حتى الآن، وتعزز ذلك الممارسات الإسرائيلية لتنفيذ تلك الاتفاقات. فرغم ما تضمنته تلك الاتفاقات من ديباجات ونصوص سياسية تعترف نظرياً بهذا الحق، فقد أبقى الجانب الإسرائيلي في يده سلطة التحكم بكل مناحي الحياة الفلسطينية، ليس فقط على المستوى الجماعي للشعب الفلسطيني، وإنما على المستوى الفردي للمواطن الفلسطيني.. أسوق أمثلة على ذلك فقد احتفظ الجانب الإسرائيلي بعلاقته المرجعية اليومية بالمواطن الفلسطيني، وأبقى على كل ما يتعلق بحركة المواطن الفلسطيني تحت سيطرته، فقد أبقت كافة الاتفاقات صلاحية التحكم بحركة المواطن الفلسطيني بيد السلطات الإسرائيلية، سواء عند تنقله بين الضفة وغزة والقدس، أو عند تنقله بين فلسطين والخارج، حتى أن سفر المواطن الفلسطيني في طائرة من مطار غزة إلى خارج الوطن يحتاج لرقابة وموافقة إسرائيلية. وأبقت إسرائيل حق الموافقة على منح تأشيرة للمستثمر الفلسطيني وإقامته والحصول على هوية بيدها، وقد كانت تلك الموافقات تمنح بسهولة أكبر قبل بدء عملية التسوية. ولايمكن تفسير ذلك بالاعتبارات الأمنية.. ذلك أن دخول إسرائيل ذاتها أسهل ألف مرة من دخول قطاع غزة. فالمواطن الفلسطيني في الضفة الغربية يحصل على تصريح لدخول إسرائيل بسهولة أكبر من حصوله على تصريح إلى غزة. وكذلك بالنسبة لمواطني قطاع غزة.

فإذا كانت إسرائيل تعترف فعلياً بحق الشعب الفلسطيني بالحكم الذاتي، وتعترف بالسلطة الفلسطينية للحكم الذاتي، وتحمل السلطة مسؤولية الأمن.. لماذا إذاً تستمر في الإصرار على التدخل التفصيلي على مستوى التعامل المباشر مع المواطن؟؟ أيضاً تصاريح العمل في الإقتصاد الإسرائيلي وتصاريح الزيارة لإسرائيل، لو كانت إسرائيل تقر حقاً بالحكم الذاتي وتعترف عملياً بسلطته، لاستطاعت تنظيم العمل الفلسطيني والزيارات الفلسطينية عبر اتفاقيات مع السلطة الفلسطينية. فإذا كانت السلطة الفلسطينية تتحمل مسؤولية أمنية عن مواطنيها الفلسطينيين اتجاه إسرائيل. لماذا إذاً لاتتفق إسرائيل مع السلطة على حجم العمالة ونوعها وتترك للسلطة مسؤولية تنظيم ذلك؟ لماذا يجب أن يصدر تصريح إسرائيلي بإسم الفلسطيني العامل أو الزائر نفسه وتتحمل السلطة الوطنية في الوقت ذاته مسؤولية عن تصرفاته إتجاه إسرائيل؟ كيف يمكن أن تسحب الصلاحيات من السلطة، وتتحمل في الوقت ذاته المسؤولية عن النتائج؟؟

إسرائيل تهدف من وراء ذلك إلى البقاء كسلطة وحيدة على المواطن الفلسطيني، تتحكم بدخولة وخروجه وعمله ومعيشته، ليس فقط إذا كان داخل إسرائيل والمستعمرات الاستيطانية، وإنما أيضاً داخل مناطق الحكم الذاتي بما في ذلك المناطق أ و ب، فهي تتحكم فعلياً حتى بحياة غير الراغبين في الحركة والانتقال خارج تلك المناطق، من خلال تحكمها بالإنتاج الفلسطيني عبر سيطرتها على حركة الاستيراد والتصدير الفلسطيني وقد يتساءل البعض.. لماذا إذن قبلت إسرائيل وقبل الفلسطينيون بهذه التسوية؟

وللإجابة على ذلك أعتقد أن كلا الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي قد أجبرا على الدخول في عملية تسوية يفرضها الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، لاعتبارات كونية ذات علاقة بنتائج انتهاء الحرب الباردة، وما أسفرت عنه من انفراد المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة العالمية، ورغبته في إطفاء بؤر الصراع والتوتر في العالم، وخصوصاً في هذه المنطقة الاستراتيجية الحساسة التي تعزز السيطرة عليها موقع القوى المسيطرة في القيادة العالمية، فهي تشرف على خطوط التجارة والملاحة الدولية، وتمتلك موارد وثروات مازالت تشكل عصب الاقتصاد الدولي، فضلاً عن كونها مركز الديانات السماوية. ولم يجد كلا الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني مناصاً من الدخول في عملية التسوية الأمريكية، وقد دخلاها مضطرين ومجبرين. وكلا الطرفين كانا يدركا بأن لامجال للعب والمناورة خارج الملعب الإجباري والإمكانية الوحيدة المتاحة هي اللعب داخله ولتحسين الشروط.. وباعتقادي أن الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي امتلكا هوامش للحركة والمناورة، ولا أعتقد أن أحداً هنا لايتفق معي في أن هامش الحركة الإسرائيلية أوسع بكثير من هامش الحركة الفلسطينية بحكم الاختلال الهائل في موازين القوى على الأرض، ومفهوم موازين القوى في هذا الإطار لايقتصر على الميزان العسكري.. وإنما على القدرة التنفيذية على الأرض.. بمعنى القدرة على التحكم بالطرف الآخر، والقدرة على الإضرار الفعلي بالآخر، دون الخروج عن قواعد اللعبة الدولية /التسوية/ وأدواتها السلمية وحيث يتعرض من يخل بها لضغوط اللاعبين الكبار /الغرب وأمريكا/. وميزان القوى أيضاً يعني الرؤية الواضحة والبرنامج التنفيذي، فاستمرار غياب ذلك فلسطينياً يشكل باعتقادي أحد أهم جوانب الاختلال.

في عصر الصراع الساخن كان لدينا رؤية استراتيجية وكان لدينا برنامجاً واضحاً وأساليب تتواءم معه. غير أننا في عصر الصراع البارد/ في زمن التسوية السياسية لم نتمكن حتى الآن من بلورة رؤية واضحة لهوامش الحركة المتاحة في إطار الصراع السلمي، ولم نمتلك بعد خطة، وبرامجنا

مازالت مرتبكة وأدواتنا ضعيفة ومتناقضة. ولم نستطع الإستفادة من الهوامش الرحبة المتاحة لنا في البيئة الدولية والتي لم تكن منذ بدء الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي أكثر مواتاة مما هي عليه الآن. بينما تمتلك إسرائيل وضوح في الرؤية، وتنتهج خططاً وبرامج تركز على الانخراط في عملية التسوية وتفريغ محتواها بانتظار تطورات في البيئة الدولية تقلص من هامش الثمن الذي يترتب على إسرائيل دفعه في إطار عملية التسوية. ورغم انني أعتقد بنقص حكمة القيادة الإسرائيلية المتنفذة، وبقصور تفكيرها الاستراتيجي إذا ما أردات تجنب الصراع الوجودي مستقبلاً. إلا أن وضوح الاستراتيجية الإسرائيلية قد مكنها من تحقيق مايلي:

١- استمرار قدرة إسرائيل على المواءمة بين الانخراط في عملية التسوية السياسية، وبين الاستمرار في الإضرار بالشعب الفلسطيني وإلحاق الأذى به، من خلال التحكم بمعظم مناحي الحياة الفلسطينية عبر استمرار تحكمها بمنافذ الاتصال الفلسطيني بالعالم الخارجي، وعدم تطوير آليات رقابة دولية فاعلة تجبر إسرائيل على تنفيذ التزاماتها التعاقدية بموجب الاتفاقات المبرمة. وقد مكنها ذلك من التحكم بإمكانات النمو والتنمية الاقتصادية الفلسطينية من خلال أدوات السياسة الاقتصادية ذاتها، فجعلت الانتاج الفلسطيني أكثر كلفة، وغير قادر على الحصول على احتياجاته من مدخلات /من المصادر المختلفة/ بأسعار تنافسية، دون حاجة إلى منع الاستيراد. بكفي فقط تعطيله وإعاقته، حتى يضطر الفلسطيني إلى الاستعاضة عن تطوير العلاقات الاقتصادية المباشرة مع العالم الخارجي بإسرائيل والوسطاء الإسرائيليين / وقد قلص ذلك من قدرة الإنتاج الفلسطيني على المنافسة حتى في الأسواق المحلية. كما أعاد تدوير جزء هام من المساعدات الدولية إلى إسرائيل عبر الاستيراد.

ومن جهة أخرى، قامت إسرائيل بعرقلة وصول الصادرات الفلسطينية للأسواق الدولية، وفتحت السوق الإسرائيلي أمام ما تريده من منتجات، كي يتخصص الانتاج الفلسطيني في تلك الأصناف التي تحتاجها السوق الإسرائيلي أو أسواق التصدير الإسرائيلية، وكي يستمر ارتباط نمط الإنتاج الفلسطيني بما يحتاجه الاقتصاد الإسرائيلي.

وقد ترافق ذلك كله مع طفرة نمو هائلة في الاقتصاد الإسرائيلي على الصعيدين الكلي والقطاعي منذ بدء عملية التسوية السياسية وبفضلها. بمعنى أنه، حتى في زمن التسوية السياسية استطاعت إسرائيل أن تحتفظ بنفس النمط السابق الذي تحقق فيه ربحاً خالصاً، بينما تستمر في التسبب للطرف الآخر بخسارة جسيمة.

٢- استمرار مرجعية السلطة الإسرائيلية عبر تحكمها بالمواطن الفلسطيني من خلال التصاريح /سواء السفر أو العمل أو للحركة بين الضفة والقطاع أو حتى للعيش فيهما من خلال تحكمها بحركة التجارة استيراداً وتصديراً، وقد أوجد ذلك إزدواجية في خضوع المواطن الفلسطيني لسلطتين: إسرائيلية يكن لها العداء كمحتل لكنه مضطر للتعامل معها بسبب تحكمها بمصالحه الحياتية. وفلسطينية يمتلك اتجاهها مشاعر من الولاء السياسي والوطني، لكن هذه السلطة عاجزة فعلياً عن تسهيل أعماله والاستجابة لمصالحه المادية، بل إن هذه السلطة تزيد أعباءه لأن عليه مهمة تمويل كلفتها / ضرائب - جمارك - رسوم/ كما أن علاقة المواطن الحديثة بسلطة وطنية يفترض بها أن تقلص نوازعه الفردية عبر التنظيم والتقنين وأن تعمل على تعميق انتماءه المجتمعي في مرحلة تشكل الدولة، بكل ما يعنيه ذلك من تغيير على الصعيد السلوكي والفكري. وهذه تشكل غريزياً نقاط تصادم وتنافر لا نقاط التقاء.

ثانياً - الجانب الفلسطيني

١- السلطة الفلسطينية

إذا ما أضفنا لما سبق أن أفراد السلطة بشر خطاؤون مثلنا، لهم نقاط ضعف ونوازع وتطلعات شخصية، البعض منها غير مشروع بما في ذلك استغلال النفوذ. وإذا ما أضفنا أن موروث هؤلاء الأفراد - سواء من كان منهم تحت الاحتلال أو في المنافي، لم يمكنهم من اكتساب تجربة مؤسسية بالمفهوم العلمي للكلمة. وأن عليهم أنفسهم مسؤولية بناء النظام والمؤسسات، في إطار بيئة قانونية تعج بخليط من القوانين العثمانية والانجليزية (الانتدابية) والمصرية والأردنية والإسرائيلية وحالياً الفلسطينية، ويعيشون تحت ضغوط يومية إسرائيلية ودولية، إضافة للضغوط الشعبية الناجمة عن الرغبة في تسيير الحياة اليومية للمواطنين بشكل يفترض به أن يكون مغايراً نوعياً لما عهدوه تحت السلطات غير الفلسطينية. يمكننا أن نتوقع منهم التخبط وتدني الأداء.. لكن استمرار هذا التدني وتفاقمه، ليس له علاقة بكل ما ذكرنا سابقاً.. بل بالافتقار إلى رؤية تنموية واضحة، تتحول إلى سياسات رسمية، واستراتيجيات وبرامج عمل وطنية ملزمة، يتم تحقيقها بشكل تدريجي، وتؤتي ثمارها بشكل تراكمي. وأعتقد أنكم توافقون جميعاً معي في أن الانجاز الكبير ما هو إلا مجموعة من الانجازات الصغيرة التراكمية، تماماً مثل البناء - تضع مخططاً أولياً لملامحه، وتتضح لك الصورة قبل الشروع بحفر الأساس، بل انك تحفر الأساسات كي توائم الصورة الكلية التي تحددها مسبقاً ثم تبدأ بالبناء طابقاً طابقاً، وإذا افتقرت إلى مخطط إنشائي واضح.. كل ما تفعله مرشح للانهيار.

في هذا تكمن مسؤولية السلطة وخطيئتها. مع إدراكنا الكامل لأعبائها، وما تواجهه من تحديات هائلة، لكنها تتحمل مسؤولية أساسية لا اعتقد أنها قادرة عليها، إذا ما استمر الخلط بين السياسة والإدارة، لأن ذلك الخلط يفرض قيداً هائلاً يحد من قدرة السلطة على معالجة كلاهما، فإن هذا الخلط خطر يهدد السياسة والإدارة معاً، فإذا بقيت السياسة محكومة بمتطلبات التسيير ومواجهة الصعوبات الحياتية اليومية، فهي مرشحة للوقوع في دائرة المقايضة، تحت وطأة الضغوط المعيشية اليومية، وسيقودها ذلك في مفاوضات الحل الدائم إلى الإخلال بمبادئ وثوابت التسوية النهائية.

وإذا بقيت الإدارة مرتهنة بتطورات السياسة ومشاغلها وانشغالاتها، فإنها ستعجز عن تغيير الواقع السيء الذي نعيشه، بل لن تتمكن حتى من وقف تردي الأوضاع، لأن الاستراتيجية الإسرائيلية تقوم على وضع العراقيل اليومية لمنع السلطة الوطنية من تحقيق أي إنجاز، ولإلهائها بمواجهة العراقيل اليومية وحرفها عن هدفها الرئيسي ببناء الدولة ومؤسساتها ولن تتمكن بالتالي من تحسين الوضع الذاتي الفلسطيني الذي يشكل شرطاً أساسياً لتحقيق أي إنجاز سياسي، أو حتى لحماية الإنجازات الضئيلة عند تحقيقها.

٢- القطاع الخاص

الذي يتحمل أيضاً مسؤولية فيما يجري، والذي يتوجب عليه أن يسهم بفعالية في عملية البناء الوطني، وأن يخرج عن الدور السلبي مكتفياً بالمراقبة وأحياناً قليلة بالتمرد عندما تتعرض مصالحه الخاصة للخطر، فمسؤولية القطاع الخاص تستوجب المبادرة بالتصدي لعملية البناء والاستثمار.

ومسؤوليته في تشكيل تجمع /لوبي/ يلتزم بقيادة عملية النمو والتنمية مسؤولية كبيرة. وعليه أن يعطي الأولوية في توجهاته لبناء القاعدة الإنتاجية الفلسطينية /زراعة وصناعة وخدمات إنتاجية/ وأن يكف عن التسابق على الأنشطة الريعية والوكالات وعقود التوزيع للمنتجات الأجنبية، دون الإقلال من أهميتها في كسر الاحتكار الإسرائيلي وخلق قنوات التعامل الفلسطيني المباشر مع العالم الخارجي لكن ذلك يجب أن يكون في إطار خدمة العملية التنموية بكاملها، وتجنب الإضرار بها.

والقطاع الخاص أيضاً مطالب بتعزيز عملية البناء المؤسسي، وبمحاصرة ظاهرة التلوث الإداري والفساد في الدوائر الرسمية، عوضاً عن الممارسات الراهنة التي تسهم في توسيع قاعدته لتسهيل مصالحه الفردية.

والقطاع الخاص كذلك مطالب بأن ينجح ويحقق أرباحاً ويجني عوائد مجزية، لكن اهتمامه بذلك يجب أن يكون في إطار سياسة

بعيدة النظر، عبر تحقيق نمو وتنمية قابلة للاستدامة. فهذا الوطن يفترض به أن يكون مستقراً لرؤوس الأموال الوطنية وأصحابها، الذين لهم على الوطن حق النمو والتطور والازدهار، وله عليهم أن يكون ذلك في إطار تنموي يحفظ سلامة البناء الطبقي ويحمي استقراره.. وهذا المطلب من القطاع الخاص الفلسطيني ليس استثناءً فلسطينياً.. لكنه متطلب اقتصادي أساسي في أكثر الدول رأسمالية، حيث يحتاج النمو الاقتصادي إلى حد أدنى من الطلب الفعال لضمان استقراره وتطوره.

٣- المواطن:

هو أيضاً مسؤول عن الواقع الذي نعيشه، وعليه مسؤولية ممارسة واجبات المواطنة بنفس الحرص الذي يبديه اتجاه حقوق المواطنة. عليه مسؤولية اتقان عمله، عليه مسؤولية الإسهام في تطوير البيئة المجتمعية الصحيحة والصحية التي تفرق بين الصواب والخطأ، والقادرة على محاصرة الخطأ وممارسة الضغط لتصحيحه والقادرة على محاصرة الفساد وعزل الفاسدين.

ما العمل؟

للخروج من المأزق الراهن، لابد أن نعترف بقصورنا، ومسؤولياتنا الجماعية عن هذا القصور، وأن نقر بأن هذه السلطة على أخطائها ابن لنا جميعاً، لها علينا حق رعايتها، ولنا عليها حق تقويم أخطائها. فهيبة السلطة ضرورة وحاجة وطنية أساسية لتحقيق الإنجازين السياسي والاقتصادي. ويجب أن نعمل جميعاً على رص الصف الفلسطيني خلف القيادة الشرعية، رغم كل ملاحظاتنا عليها، نفعل ذلك لأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الشرعية السياسية للقيادة، وبين مستقبل المشروع الوطني بأسره. ولأن البديل الآخر مزيد من اضعافها الذي سيفضي إلى مزيد من التنازلات على الصعيد الوطني، سندفع كلنا وأجيالنا القادمة ثمناً باهظاً إن أخطأنا في التقدير.

لكن ذلك لايعني على الإطلاق التسامح مع قصور السلطة سواء على صعيد الإدارة أو على صعيد السياسة.

بل لابد من الإصرار على التصحيح وعلى أولوية بلورة سياسات واضحة وثوابت على المستوى الوطني السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي الخ..

○ لايعقل أن يستمر هذا الخلط والتداخل بين مهام السياسة العامة وبين مهام الإدارة اليومية.

○ لايعقل أن يستمر هذا السيل من قنوات التفاوض الرسمي وغير الرسمي بدرجة يكاد غالبية المواطنين ينخرطون في عمليات التفاوض السياسي والاقتصادي وحتى الأمني. إن توحيد قناة التفاوض لاتعني إقصاء أحد، وإنما تعني تنظيم عملية التفاوض ومنع الاختراق.

○ لايعقل مثلاً أن تستمر الشكوك اتجاه ثوابت الحل السياسي، الذي تثيره التباينات والتناقضات في مواقف وتصريحات العديد من القيادات المنخرطة في العملية التفاوضية.

○ لايعقل أن يستمر هذا التسيب الكامل في العلاقات الخارجية، بين المواطنين والمنظمات غير الحكومية والنواب والوزراء، وبين الدول الأجنبية - مانحة كانت أو غير مانحة. فالعلاقات الخارجية هي جزء من السياسة الخارجية، ولها أبعاد وتأثيرات سياسية وأمنية.

○ لايعقل أن يستمر كل منا في تدبير شؤونه بما في ذلك الشؤون المالية بالطريقة الجارية حالياً، فالأطراف التي نتعامل معها دولاً ومنظمات لها مصالح وسياسات رسمية - بعضها معلن وبعضها غطاء، لابد أن نخضع جميعاً لنظام وقانون، ولآليات مراقبة عامة تحكمها سياسة وطنية معلنة.

○ لايعقل أن يستمر هذا الضعف بالجهاز القضائي.

○ لايعقل أن يتواصل عدم نفاذ القانون.

○ لايعقل أن يتمكن المسؤولون من مواصلة الجمع بين التمتع بمزايا الحكم، وبين الاستمرار في مخاطبة الجمهور بشعارات المعارضة.

○ لايعقل أن يستمر عدم الوضوح في السياسة الاقتصادية واستمرار الخلط بين دور السلطة ودور القطاع الخاص والتداخل في أنشطتهما.

○ لايعقل أن يستمر رموز السلطة في ممارسة العمل العام والخاص معاً.

○ لايعقل أن نستمر في توقيع اتفاقيات للتعاون الاقتصادي والتجاري في غياب رؤية واضحة لمصالح الاقتصاد الوطني وتغييب القطاع الخاص وإغفال مصالحه.

○ لايعقل أن يستمر توقيع اتفاقيات القروض واستخدامها، في غياب سياسات واضحة للاقتراض وسياسات تنموية لاستخدام القروض.

○ لايعقل أن يستمر التخبط والتذبذب في سياسات التصنيع والزراعة والإنشاءات والتجارة الخ..

○ لايعقل أن يستمر عدم الوضوح والاستقرار في السياسات المالية والضريبية، وأن يستمر الجدل حول ما إذا كانت VAT حق للسلطة أو حق للقطاع الخاص.. وفيما إذا كانت الحوافز عامة أم انتقائية.

○ لايعقل أن يستمر توقيع عقود الامتياز للشركات دون أن ترتبط برقابة نوعية وسعرية.

○ لايعقل أن يستمر القطاع الخاص في الترحم على أيام الاحتلال وفقاً لنتائج المقارنة مع هامش الأرباح حيث كانت سلطات الاحتلال تعيد VAT وتخص البعض بمعاملة VIP وتمنحه التسهيلات. فالاستقلال له ثمن اقتصادي أيضاً.

○ لايعقل أن يستمر تجار الأغذية الفاسدة بممارسة مهنة التجارة، والتمتع بالقبول الاجتماعي من قبل المواطنين.

○ لايمكن أن يستمر المواطن الراغب في الاستقلال الوطني بالتمسك بحقه الشخصي في تسوية نزاعاته مع الآخرين والتمرد على السلطة عندما تنوي ممارسة دورها المجتمعي.

○ لايمكن أيضاً أن يستمر المواطن الراغب في الاستقلال والتنمية في لعن السلطة الحكومية أو البلدية التي تحفر الأنفاق في الشوارع لتمديد شبكات الكهرباء والهاتف والماء. ولايحق للسلطة /مركزية أو بلدية/ أن تستمر في أعمال الحفر بدون خطة واضحة وبرنامج يمكن المواطن من تكييف مصالحه معها.

○ لايعقل أن نغضب إذا حصل الوزراء والمسؤولون على معاملة خاصة في التنقلات.. أفهم أن نرفض حصول المسؤولين على معاملات تمييزية غير مشروعة - أن نثور على استغلال السلطة والنفوذ، أن ندين الإثراء غير المشروع - أن نعلي كلمة القانون ونطالب بتطبيقه على الجميع. لكنني لا أفهم أن نحسد بعضنا على النجاح.. ونفرح ونشمت في الفشل والسقوط.

○ لايعقل أن لانرى قصورنا إلا إذا تحدث عنه العالم الخارجي، وأن لانشكل لجان التحقيق والإصلاح إلا إذا أجبرنا الغير على ذلك.

○ لايعقل أن يبقى كل فرد منا مشبوهاً ومتهماً برسم الإشاعة، لأنه إذا توفرت النية للادانة، فليس هناك أسهل من جمع الأدلة. خصوصاً عندما يكون لذلك أهداف سياسية تطال مجمل المشروع الوطني.

○ لايعقل أن يتساوى الوزير والغير في المسؤولية عن الأخطاء والخطايا.

صحيح أن المرحلة الصعبة قد انتهت، لكن الصحيح أيضاً أن المرحلة الأصعب قد ابتدأت.

من اعتقد من العائدين من التيه الطويل في الشتات، أن وقت الراحة والاستقرار قادم فهو واهم. ومن اعتقد من الصامدين الصابرين على الاحتلال البغيض، بأن وقت الراحة والاسترخاء قادم فهو واهم.

موسم الحصاد مازال بعيداً وعملية البناء أصعب بكثير من عملية الهدم.. الهدم يحتاج لعمل فردي، لفعل بسيط - ثوان معدودة، البناء يحتاج إلى جهد جماعي وعرق وموارد وتكاتف وصبر ووقت.. لكنه قبل ذلك يحتاج إلى رؤية وسياسة وخطة وبرنامج وقرار للتنفيذ ومتابعة للاداء ومحاسبة عليه. ولتحقيق ذلك فإنه يحتاج إلى قرار بالبناء.

قد يبدو حديثي خلطاً بين السياسة والاقتصاد.. هو كذلك لأن الفصل بينهما متعذر.. لكني أعتقد أن الخروج من المأزق الراهن يستوجب منا جميعاً تحمل مسؤولياتنا كاملة خصوصاً ونحن نقف على أبواب الحل النهائي.

أشكر لكم حسن استماعكم وسعة صدركم ●●

(*) مديرة معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس).

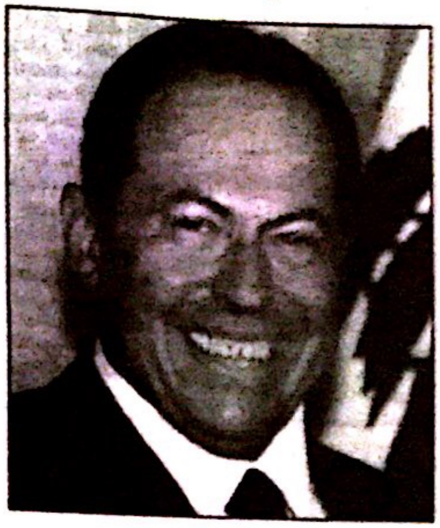
توحد المسارين السوري واللبناني

عنصر قوة تفاوضية للطرفين

عـارف سليمان

عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين





كثيرة هي الأسئلة التي تطرح في الآونة الأخيرة في بعض الصحافة المقروءة، والمرئيات المسموعة، عن دور سوريا في «استخدام الورقة اللبنانية» أو «المقاومة اللبنانية» أو «الورقة الفلسطينية» في العملية التفاوضية الجارية بينها وبين إسرائيل.

وهناك من ينكر عليها هذا الاستخدام..! ويحرّض ضدها لامتلاكها هذه الورقة! وهناك من يقول أن سوريا فقدت الورقة الفلسطينية بعد أوسلو.. مما أثار غضبها، وتباعد الود بينها وبين السلطة الفلسطينية!! وهناك من ينظر إلى العلاقة السورية اللبنانية، والسورية الفلسطينية نظرة مغايرة أعمق من سماكة اللحظة السياسية الراهنة.

وبداية لا أرى غضاضة في القول أن العملية السلمية الجارية برمتها وبكل مساراتها العربية ومنها الفلسطينية هي عملية قسرية وظالمة، كونها تدار في نطاق ميزان قوى يميل لغير صالح الأمة العربية، وكونها تقفز عن الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني في أرضه.

هذه التسوية التي أحدثت تنازلات لايعرف أحد نهاياتها أو تبعاتها التاريخية، وتحمل الأجيال القادمة مسؤولية وزر أفعالنا الراهنة.

غير أن المسؤولية والحكمة تقتضي أن لايكون المرء متفرجاً أمام رغبة واندفاع النظام العربي ومنه الفلسطيني لولوج التسوية الجارية. وأدائه التفاوضي القائم.. إنما تقتضي المسؤولية أن يقول المرء رأيه فيما يدار من تسوية، وأداء وتجميع أوراق الضغط والقوة، أو التفريط بها.. وهنا الممانعة والاعتراض على طبيعة التسوية المطروحة لايلغي أو يمنع إبداء الرأي في التفاصيل حين تصبح الوقائع أمراً قاهراً على الأرض.

ومما لاشك فيه فإن هناك مواقف مسبقة لدى البعض يتم إسقاطها قسراً في التحليل لإظهار الجانب السوري بأنه صاحب «نظرة استخدامية» تجاه لبنان، والمقاومة اللبنانية والفلسطينية. بل أن هناك من يقع أسيراً للإعلام المعادي فيكرر ذات العبارات والمواقف المغرضة دون أي جهد أو عبء لتمحيصها ومعرفة أغراضها.

لعل هذا اللغط يستدعي بعض الإيضاح لمفهوم ووظيفة «أوراق القوة والضغط» التي يملكها طرف ما في مواجهة طرف آخر في نطاق الأداء التفاوضي.

فمن البداهة أن يسعى طرف ما إلى تجميع وتركيم أوراق القوة لديه حين الإقدام على التفاوض، وثمة مشروعية لاستخدام هذه الأوراق في مواجهة «الطرف الآخر» مادام لايضر بحلفاء الجبهة الواحدة. وأوراق القوة عديدة ومختلفة منها العسكرية، كحرب المقاومة أو سيطرة الجيوش على الأرض ومواقع استراتيجية وامنية،ومنها الاقتصادية كالتحكم في مصادر المياه، والملاحة ومنافذ التجارة والحدود والعمالة.. ومنها الدولية، كمواقف الدولة الحليفة والقرارات الدولية الضاغطة والمؤيدة، ومنها السياسية والإقليمية، كأن تربط بعض قضايا الصراع مع بعضها البعض والتحزم بها في مواجهة الآخر.. ومن المنطقي والطبيعي أن يسعى كل طرف إلى تجميع وتركيم أوراق القوة لديه، والأهم أن يتم إتقان لعبة استخدام هذه الأوراق وكيفية الاحتفاظ أو التصرف بها في الوقت المناسب.

في هذا السياق فإن ربط المسارات العربية مع بعضها البعض يشكل عنصر قوة وثقة في النفس، ومصدر ضغط على الطرف الإسرائيلي، في حين أن فرط وتباعد المسارات عن بعضها شكل عنصر ضعف أمام الإسرائيلي. ولطالما سمعنا وتعلمنا في طفولتنا بنصيحة الأب لأبنائه قبل وفاته «بأن حزمة من العصي يصعب كسرها في حين أن عصاة واحدة يسهل كسرها» للدلالة على قوة الوحدة وضعف الفرقة. الأمر الذي يعني أن المسارات العربية في التسوية الجارية لو توحدت أو تكاملت لأمكن تحقيق نتائج سياسية واقتصادية وجغرافية أفضل مما تحقق حتى الآن، ولو أن المسار الأردني والفلسطيني ظلا متجاورين وموحدين مع المسارين السوري واللبناني لكانت شروط أوسلو ووادي عربة أقل وطأة وظلماً وإجحافاً. ولأمكن إفقاد إسرائيل من سلاح «لعبة المسارات» عبر الإبطاء أو الإسراع أو التأجيل لمسار على حساب مسار آخر بهدف الاستفراد بكل دولة على حدة لفرض شروطها

التفاوضية.

وعليه فالحديث انتقاداً عن ربط المسارين السوري واللبناني في عملية التسوية، أو التعبير عن ذلك بامتلاك سورية بورقة لبنان والمقاومة اللبنانية لايستند إلى رؤية موضوعية، واستراتيجية لطبيعة الصراع وآفاق حله. ولاينم عن وعي لكيفية تجميع أوراق القوة والضغط في مواجهة الاحتلال الصهيوني إذ يمتد السؤال منطقياً، هل يستطيع لبنان أن يحصل على شروط تفاوضية أفضل لو انفرد بمساره..؟ وهل تستطيع سوريا أن تقترب من رؤيتها المطروحة بالتسوية لو انفردت بمسارها؟

وهل استطاع الفلسطينيون الحصول على شروط ومكاسب أفضل عبر انفرادهم بمسارهم عن بقية المسارات العربية؟ وهل مسار وادي عربة أعطى للأردن كامل حقوقه؟

يقيناً أن الانفراد بالمسار يعني شروطاً أضعف وأقل في حين أن التلازم يعني شروطاً أقوى وأفضل لمصلحة كل بلد على حدة. والبلدين معاً.

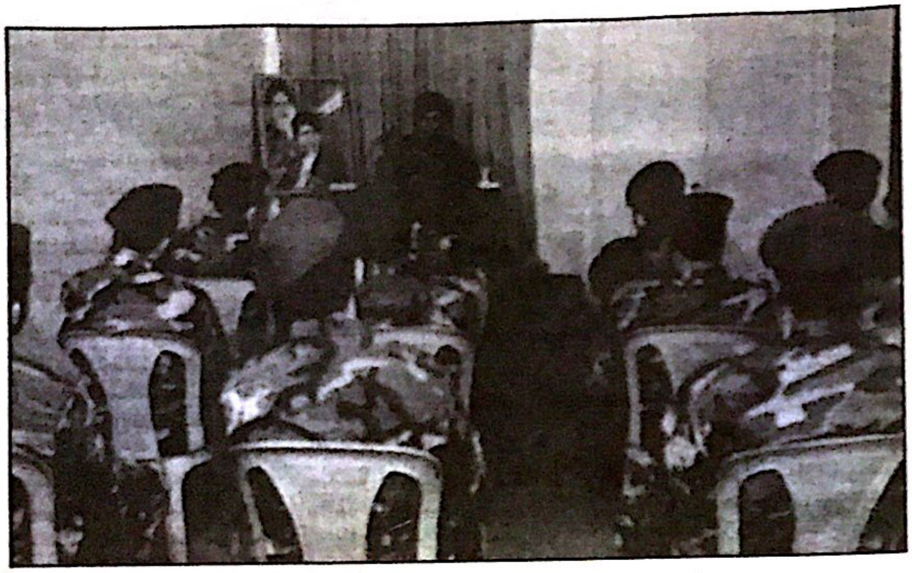
لكل ذلك يجب النظرة إلى تلازم المسارين السوري واللبناني بأبعاد استراتيجية ومستقبلية، وليس باستحقاقات اللحظة السياسية الراهنة فحسب.. والتي تستند على الرؤية النفعية القطرية..

ولايحتاج المرء إلى كبير عناء لدحض «المفهوم الاستخدامي» لتلازم المسارين، عبر النقاط التالية..

أولاً: لايمكن للبنان المستقل وذي السيادة أن يكون ورقة في يد سوريا بالمعنى الاستخدامي، إنما يمكن أن يكون مصدر قوة بالمعنى الاستراتيجي لسورية طالما هو خاصرتها جغرافياً. ويمكن أن يكون النقيض طالما انفصل عنها قسراً.. كما أن سورية هي عنصر وعامل قوة استراتيجية للبنان كونها ضامنة لأمنه واستقراره وسلمه الأهلي.

ثانياً: أن سوريا لاتفاوض وهي عارية من عوامل وأوراق القوة إلا «الورقة اللبنانية» أو «ورقة حزب الله» وإلا تكون سوريا دولة ضعيفة لاحول ولا قوة لها ولاتملك إلا أوراقاً خارجية أو إقليمية تفقد قيمتها بانتهاء وظيفتها وزمانها.. في حين أن سوريا بصمودها وتمنعها عن الدخول في التسوية وفقاً للشروط الإسرائيلية، وبتفاوضها اليوم يؤشر على امتلاكها أوراق صمود وقوة داخلية بنيوية سياسية شعبية ورسمية..

و«ورقة لبنان» أو «المقاومة اللبنانية» لايمكن أن تفسر صمود سوريا في مواجهة ضغوط التسوية عربياً ودولياً منذ كامب ديفيد وبعده أوسلو ووادي عربة وحتى اليوم.. إنما ما يفسر ذلك هو ما تختزنه من عوامل القوة الأخرى البنيوية الداخلية والسياسية والقيادية وما تملكه من رؤية قومية لطبيعة الصراع تحزم عليها السير في دروب التسوية المجهولة النهايات وفق التصورات الإسرائيلية.



ثالثاً: أن سوريا تجاهر بدعمها للبنان وشعبه، وللمقاومة اللبنانية، ولا غضاضة في ممارسة حقها الطبيعي، بتحويل هذا الدعم المعنوي والسياسي والمادي، إلى قوة إضافية سياسية وتفاوضية في مواجهة الضغوط التي يتعرض لها البلدان في مجال التفاوض والمقاومة.

رابعاً: أي إنسحاب إسرائيلي من طرف واحد من الجنوب اللبناني، وبدون اتفاق مع سوريا أو لبنان، لايضعفهما، ولايفك مساريهما.. ولايحرج أو يضعف سوريا، ولايفقدها «ورقة المقاومة» أو دورها.. إنما يعطي للصمود السوري واللبناني مردوداً سياسياً وعملياً مباشراً وعلى الأرض. ويبرهن على أن منطق الصمود والمقاومة قادر على فرض مذلة الانسحاب والتقهقر الإسرائيلي بدون شروط.. كما ويعيد الاعتبار لمعنى ومفهوم المقاومة التي يحاول البعض إفراغه من محتواه في زمن السلام المعولم.

وبصرف النظر عن النوايا الإسرائيلية من احتمال هذا الإجراء الأحادي الجانب والتي تتمثل في التخلص من عبء الاحتلال مادياً وبشرياً ومعنوياً، وفي التحلل من اتفاق نيسان الذي مازال يحد من غطرستها وعدوانها.. وفي توفير مناخ دولي وداخلي إسرائيلي لضرب لبنان مجدداً في بناه التحتية تحت ذرائع وحجج وليس صعباً توفيرها ما بعد الانسحاب.. وفي إنهاء الترابط القائم بين المسارين.. بصرف النظر عن هذه النوايا، فإن الانسحاب إذا ما تحقق سوف يصنع معادلة سياسية جديدة إما باتجاه توفير كل مسببات التوتر والتصعيد وانعدام فرص السلام، أو إيجاد مناخ جديد لفرص التسوية بمسار واحد سوري لبناني دون فقدان أحد للآخر.

خامساً: ما من شك بأن إسرائيل حينما تفاوض سوريا لاتنطلق من الرغبة فقط في إفقاد سوريا «للورقة اللبنانية» إنما لإدراكها معنى أهمية السلام مع سوريا، وبؤس السلام بدونها، ولإدراكها بأن سوريا مفتاح السلام في المنطقة بالمعنى الاستراتيجي سواء امتلكت أو لم تمتلك الورقة اللبنانية، فهي تفاوضها وهي تدرك أنها بلبنان وبدونه قوة موضوعية بوزن استراتيجي في المنطقة تحمل معاني ودلالات تاريخية وجغرافية وحضارية ليس سهلاً إدارة الظهر لها.. لذلك ستبقى سوريا بلبنان وبدونه وبالمقاومة اللبنانية وبدونها على أهميتها وعلو شأنها هدفاً إسرائيلياً تسعى لإضعافها وإضعاف عوامل القوة فيها بكل السبل والوسائل، وعلى رأسها محاولة حشرها وحيدة ومجردة من أسباب القوة والممانعة.

إذا ما تركنا هذا المنطق يأخذ مداه ومجاله الموضوعي، هل يصح القول إن ما حصل وما تم من حلول وتسويات ومسارات متفردة لم يكن إلا قصوراً في الرؤية وانحرافاً قطرياً عن جادة ومساحة العمل القومي، وخروجاً عن منطق السياسة، ودائرة الممارسة العقلانية؟ لا أجد صعوبة بالإجابة بنعم.. رغم الكم الهائل من الحجج والتبريرات التي يسوقها كل طرف في الدفاع عن منطقه القطري ●●

دمشق تحتضن ندوة التحولات العالمية ومستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين

متابعة: عصام سلامة

أقام المركز العربي للدراسات الاستراتيجية برئاسة السيد علي ناصر محمد بمناسبة انعقاد مؤتمره السنوي الرابع ومركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية في جامعة دمشق أيام ١٠-١١-١٢/٤/٢٠٠٠ ندوة بعنوان:

«التحولات العالمية ومستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين» برعاية السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية.

ومثل السيد الرئيس حافظ الأسد في افتتاح المؤتمر الرفيق عبدالله الأحمر الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي، وحضر الافتتاح الرفاق والسادة أعضاء القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، وعدد من أعضاء القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية، والرئيس علي ناصر محمد رئيس المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، والسيد عدنان عمران وزير الإعلام السوري، وعلي الدين هلال وزير الشباب المصري، والدكتور سعود الزبيدي ممثل الأمين العام لجامعة الدول العربية والدكتور محمد فاروق ابو الشامات أمين فرع جامعة دمشق للحزب والدكتور عبد الغني ماء البارد رئيس جامعة دمشق، وحضر الافتتاح حشد غفير من ممثلي المنظمات العربية والدولية وبعض السفراء العرب بدمشق والعديد من الباحثين والمهتمين وأساتذة الجامعات والمثقفين من سوريا وعدد من الدول العربية.

كلمة عبد الله الأحمر:

وألقى ممثل السيد الرئيس حافظ الأسد الرفيق عبد الله الأحمر كلمة في افتتاح المؤتمر، هذا أهم ما جاء فيها: يسعدني أن أمثل السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية في افتتاح مؤتمركم هذا الذي يضم نخبة من الباحثين والدارسين من سورية ومن مختلف البلدان العربية الشقيقة والذي تتركز فعالياته: حول التحولات العالمية ومستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين، وأضاف قائلاً: يكتسب البحث العلمي أهمية خاصة في هذا العصر الذي هو عصر العلم حيث يصبح النشاط العلمي محور وجود الأمم الناهضة وقاعدة هامة في استقلالها وقوتها.

وعن عملية السلام.. قال السيد عبد الله الأحمر: إن اجتماعكم في دمشق هذه الأيام يتم ومنطقتنا العربية لاتزال بعيدة عن السلام العادل والشامل، ومرد ذلك يعود إلى عدوانية إسرائيل التي تحتل الأرض العربية في الجولان وجنوب لبنان وفلسطين، وترفض تنفيذ القرارات الدولية وتضع العراقيل أمام مسيرة السلام من خلال سياساتها الهادفة إلى التوسع والهيمنة والاحتفاظ بالأرض العربية أو أجزاء منها وفرض مفهومها للسلام الذي يعني استسلام العرب للأمر الواقع الذي تريده.

وختم الرفيق الأحمر كلمته بالقول: إن أبحاثكم ومناقشاتكم تتم ونحن في مطلع الألفية الثالثة، نقف أمام مفترق طرق للدفاع عن وجودنا واللحاق بركب العلوم وتحديث مجتمعاتنا. كل ذلك مطلوب منا ونحن نواجه العولمة بأبعادها الاقتصادية والثقافية والسياسية، إن النهوض بالبحث العلمي ركن هام في مجمل النهوض القومي من أجل مواجهة التحديات على مستوى التحرير والتنمية.

كلمة الرئيس علي ناصر محمد:

وألقى السيد علي ناصر محمد رئيس المركز العربي للدراسات الاستراتيجية كلمة توجه في مستهلها بالشكر للسيد الرئيس حافظ الأسد على رعايته هذا المؤتمر في هذه الفترة الفاصلة من تاريخ الأمة العربية.

وأكد أن صمود سورية بقيادة الرئيس حافظ الأسد يسجل صفحات مشرقة في الدفاع عن حقوق الأمة العربية وكرامتها ومستقبلها.. وأضاف: هذا يستدعي منا جميعاً الوقوف صفاً واحداً ضد التعنت والصلف الإسرائيليين والعمل معاً دعماً لموقف المفاوض العربي من أجل استعادة الحقوق المشروعة وتأمين انسحاب إسرائيل من كافة الأراضي العربية المحتلة في الجولان وجنوب لبنان، وضمان قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس.

وأشار الرئيس علي ناصر: إلا أنه منذ تأسيس المركز العربي للدراسات الاستراتيجية في دمشق عام ١٩٩٥م وهو يبذل الجهد على الصعيد الفكري ليقدم الدراسات التي تعالج قضايا الأمة العربية وشؤون المشروع الحضاري العربي والتي تخدم التنمية الشاملة للأقطار العربية.

وأوضح: أن هذا المؤتمر يأتي ليحلل التحولات العالمية على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية ودور المرأة العربية وليدرس الآثار والتداعيات التي تطرحها هذه التحولات علينا.

وقال: لقد سعى المركز لدعوة نخبة من الباحثين العرب في موضوع المؤتمر على مدى ثلاثة أيام كي يطرحوا أفكارهم ويحللوا أبعاد كل موضوع في إطار من حرية الرأي والحوار المسؤول. ونأمل أن ينتهي إلى صياغة مجموعة من التوصيات والخلاصات العملية المفيدة.

وختم كلمته بالقول: إن بقاءنا في عالم الغد أصبح مرهوناً بقدرتنا على الوحدة وعلى تحقيق المشروع الحضاري العربي، وما لم نفعل ذلك فليس أمامنا سوى التشرذم والتهميش.

كلمة الدكتور عبد الغني ماء البارد:

وألقى الدكتور عبد الغني ماء البارد رئيس مجلس إدارة مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية في جامعة دمشق كلمة أكد فيها أن الهدف من إنشاء مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية هو إيجاد قاعدة بحثية ومعلوماتية يستفيد منها مختلف الباحثين وإجراء الدراسات ونشر الأوراق العلمية والبحثية في أهم القضايا التي تخص بلدنا والمنطقة العربية وأضاف: إن الحق العربي بحاجة لزيادة فاعلية الدور الإعلامي العربي كوسيلة هامة في شرح واقع القضية العربية تزود الرأي العام العالمي بقاعدة معلوماتية حول تاريخ وطبيعة وأهداف الصراع العربي الصهيوني.

وأشار: إلى أنه من بين القضايا التي علينا التصدي لها موضوع المياه وموضوع التنمية والتركيز على الانترنت وثورة المعلومات والاتصالات. وختم الدكتور عبد الغني كلمته بالقول: إن سورية شهدت قفزة نوعية في تطوير مستجدات العلوم والتكنولوجيا والمعلوماتية والاستفادة من المستجدات في مختلف العلوم.

وقد تضمنت الندوة المحاور التالية:

المحور الأول: التحولات السياسية

- اتجاهات التحولات السياسية الدولية القائمة

د. حسن نافعة

المعقّب: د. مطانيوس حبيب

رئيس الجلسة: د. علي الدين هلال

- آفاق تأسيس إستراتيجية سياسية عربية مشتركة

د. حامد خليل

المعقّب: د. كامل أبو جابر

رئيس الجلسة: د. طلال عتريسي

المحور الثاني: التحولات الاقتصادية

- التحولات الاقتصادية الدولية وتأثيرها على الدول العربية:

د. منير الحمش

المعقّب: أ. أديب نعمة

رئيس الجلسة: د. فؤاد السيد

- الخصخصة ومتطلبات التنمية والتوزيع والعدالة الاجتماعية في الوطن العربي:

د. ياسين سعيد نعمان

المعقّب: د. محمود عبد الفضيل

رئيس الجلسة: د. حيدر إبراهيم

المحور الثالث: التحولات الاجتماعية ـ الثقافية

- أثر التحولات العالمية على إدماج المرأة العربية في عملية التنمية المستدامة:

د. أماني قنديل

المعقّب: د. سكينة بوراوي

رئيس الجلسة: د. نازلي معوض

- أثر التحولات العالمية على التركيب الاجتماعي في الوطن العربي:

د. أحمد بعلبكي

المعقّب: د. الطاهر لبيب

رئيس الجلسة: د. صالح باصرة

- إشكالية العلاقة بين عولمة الثقافة ومتطلبات الخصوصيات الثقافية القومية:

د. عبد الإله بلقزيز

المعقّب: د. أحمد برقاوي

رئيس الجلسة: أ. محمد جمال باروت ●●

إشكالية العلاقة بين عولمة الثقافة ومتطلبات الخصوصية الثقافية القومية*

د. عبد الإله بلقزيز**

مقدمة

كلما تزايد الحديث عن العولمة الثقافية، وحقائقها، ونتائجها، كلما تزايدت الاستدراكات الاستفهامية حول شرعية - أو وجاهةِ - استعمال المفهوم بالمعاني والمضامين التي استقرّ عليها، والتي لم تُبحث بدرجة كافية من الدقة، ولا وُضعت موضع نظرٍ وفحص نقديين! إن المعنى الوحيد الذي نكادُ نتداولُه جميعاً، لهذا المفهوم، هو ذاك الذي تكرسه في أذهاننا القوة التي تصنع عملية العولمة الثقافية، فتدفعنا إلى استبطانه وإعادة انتاجه في ما نقول ونكتب عن العولمة تلك: تبشيراً أو إنذاراً! لذلك، تبدو تلك الاستدراكات الاستفهامية - على تواضعها الفكري والمنهجي - ضرورية لتنمية علاقة نقدية يقظة بخطاب العولمة الثقافية الزاحف، في أفق يُرجى أن يتسع لمقالة علمية في الموضوع: أعني لخطاب موضوعي يتخطى عمليات الكوماندوس النقدية، التي تستهدف نقاط ضعف خطاب العولمة الثقافية، إلى حيث يمكن الخطاب بعدّة نظامية (معرفية) كاملة.

هنا المناسبة المثالية لسوق ملاحظة منهجية ضرورية في الموضوع: قرأنا «كثيراً» من النقد لمقولة العولمة الثقافية، في نصوص عربية انطباعية سريعة، غير أننا لم نعثر فيه على شيء يشفع للجهد العصبي الذي بُذل فيه! فالغالب عليه شعارات معبّأة في كل وقت وحين لتقول نفسها، وتكرّر مقولها، في سائر المناسبات: لافرق بين أن تكون مناسبة القول الجاهز «مناظرة» الفكر الغربي، أو الهجوم على سياسات الاستعمار والإمبريالية، أو تعبئة الجمهور ضد الخطر الصهيوني، أو التحذير من مخاطر المندسّين بين ظُهرانينا للاعتداء على رابطتنا المليّة وهويتنا الحضارية.. إلخ! تستوي الموضوعات كلها - كائنة ما كانت طبيعتها - في نصابٍ من النظر الواحد: أليست جميعها برسم النَّيلِ من إنّيتِنا الجماعية؟!

نقول - دون زعم عظة - إن هذا الضرب من النظر الرفضوي لم يعد يليق بنا، ولا هو يناسب حقل الثقافة والمعرفة، أو ينتمي إلى النقد (والنقد طقس من طقوس المعرفة وليس قبلية من قبليات السياسة!). أكثر من ذلك: إن نتائجه لاتنحصر في من يمارسه - وأقلّها أنه يُكرّس هامشيته المعرفية على خلفية احترافه لحرفة إنتاج الشعارات العامة وتوزيعها على الملأ - بل هي تتعدّاه إلى الجمهور الذي يتوجّه إليه بخطاب الرفض. إذ لايعود من حق هذا الجمهور على مثقفيه أن يتلقى منهم معارف وأفكاراً، بل يُفرض عليه أن يجترع شعارات جديدة على أخرى سابقة لم يتسنَّ له بعد أن يزدردها دون عُسر! والأفدح من ذلك كله، أننا بهذه الغُذّة والعديد لانفعل سوى أن نثبت لأنفسنا - قبل العالم - أننا لسنا مهيئين بعد لأن نستقبل فكرياً حدثاً كبيراً مثل العولمة في المجال الثقافي والرمزي، بعد أن فقانا أعين الجميع بقدرتنا الخارقة - نحن عرب اليوم - على أن نتجاهل أحكام العولمة الاقتصادية في ديارنا! ودون أن تأخذنا عزة النفس والشرف إلى حيث نُدافع عن اقتصادنا الوطني، وعن قوت كادحينا ومعوزينا! ألم نتعلّم من مأثورنا أنه «كم من أمور قضيناها بتركها»؟!

بعيداً عن هذا الاختناق الذي يضيق به تنفس العقل، لنحاول أن نفكر بروية في موضوعة العولمة الثقافية: ماذا تعنيه في منطوق قائليها، وماذا هو عليه أمرها دون مساحيق، وكيف تتحقّق أحكامها وتسري مفاعيلها، وما الآثار والمضاعفات التي تترك على ثقافات الغير: ونحنِ منهم، ثم ماذا في وسعنا أن نفعله اجتناباً لسوءاتها واقتناءً لحقائقها؟

- ١ -

ما الذي تعنيه العولمة الثقافية عند القائلين بها. هل ينطبق المعنى على فعل العولمة ومضمونها، أم أن تعريفها - على الذي به جرى التعريف - تعيين إيديولوجي لها يتغيّا تكريس صورة عنها في الأذهان غير مطابقة لطبيعتها؟

العولمة الثقافية، كما تقدّم نفسها في كتابات بعض مثقفي الغرب - خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية - هي «الكونية الثقافية» الجديدة، أي هي التعبير الثقافي الكوني عن العصر الجديد، وعن قيمه الناشئة في رحم تحولاته، وهي كونية باتت تتخطى الحدود الثقافية القومية، لتصنع ثقافة «إنسانية» مشتركة وجامعة بين سائر المجتمعات والأمم: تُفكك القلاع الثقافية القومية، المنغلقة والمحروسة، وتذيب الفوارق بين القيم والمعايير والأذواق، لتصل بالتعبير إلى عتبة العالمية، وتصل بالإنسان إلى عتبة الكلّي.. الخ.

إنها - بمعنى ما - «تحرير للإنسان من قيود ثقافية قومية كابحة له عن الاندماج في المحيط الثقافي العالمي الجديد، مثلما كان الرأسمال المالي - قبل عقود - تحريراً للاقتصاد من قيوده القومية، ومثلما أصبحت التجارة الدولية الحرة - قبل سنوات - تحريراً للمبادلات من القيود الجمركية القومية.. الخ».

أن تكون العولمة الثقافية فعل تدمير للحدود الثقافية القومية، فهذا صحيح بلا شك، وسيرتها الذاتية في هذا الشأن أبلغ في التعبير عنه من مقوّل كهنتها ومنظريها! وأن تكون هي التعبير الثقافي الكوني عن العصر الجديد، ونظامه القيمي - المعياري، فهذا - أيضاً - مما لايخامرنا الشك فيه، لأن مضمون العولمة الثقافية تلك هي هذه القيم بالذات، وهدفها الأساس هو تعميمها كونياً، ثم لأن البشرية المعاصرة لم يسبق لها أن تعرّفت على منظومة القيم والمعايير الجديدة هذه إلا في ركاب العولمة الثقافية. غير أن العولمة الثقافية ليست - في شيء - كونية ثقافية أو عالمية ثقافية بأي معنى من المعاني: إذ إن تدمير الكيانات الثقافية القومية ليس دائماً رديفاً للكونية، وهو لايمكن أن يكون رديفاً إلى متى حصل (التدمير) تلقائياً من داخل الثقافات القومية نفسها، أي على مقتضى حركة تطور نوعية فيها، تكسر فيها (تلك الثقافات) أُطرها المرجعية القومية كي تبحث لنفسها عن أُطر مرجعية أعلى (إنسانية) تتجاوزها نوعياً. وهذا ما لم يحصل في التجربة الثقافية الإنسانية المعاصرة، التي كشفت - خلاف ما يذهب إليه خطاب العولمة - عن ميل شديد لدى الثقافات إلى المنافسة، وتعظيم الخصوصية والهوية في مقابل الآخر، حتى وإن كان التقارب والتقاطع سمةً رئيسية في العلاقة بينها، وخاصة في العلاقة بين الثقافات الحديثة منها. إن الكونية - أو العالمية - الثقافية غير قابلة للكينونة إلا في سياق «شراكة ثقافية» متوازنة بين الأمم والمجتمعات والثقافات: شراكة تنجم عنها عملية تقارب في إدراك القيم والرموز والأفكار، وصناعة «جماعية لمنظومة مشتركة، بينها، يكون طابعها إنسانياً فوق - قومي. ومثل هذه «الشراكة» لاتحصل بمقتضى صفقة بين الدول، أو تسوية فكرية بين الثقافات والأنساق الثقافية، بل هي رهنٌ بعملية تثاقف موضوعي، بين المجتمعات والثقافات، يجري

فيها تبادل تلقائي للرموز والقيم، ثم تستقر فيها على حصيلة جامعة تكون هي المشترك الثقافي الإنساني الكوني.

ليس هذا حال العولمة الثقافية: إنها شيء آخر مختلف تماماً، أو قل هي - بالأحرى - عكسه وضده. فهي ليست كونية ثقافية، كما يدّعي سدنتها، بل هي تعبير صارخ عن انتصار ثقافة قومية بعينها - في المنافسة الثقافية الكونية المعاصرة - هي الثقافة الأمريكية. وهو انتصار يحاول الأمريكيون استثماره عالمياً بالقول إنه انتصار لثقافة عالمية جديدة. فيكون ذلك الطريق السهل إلى تعميم قيم تلك الثقافة كونياً تحت ذريعة عالميتها! غير أن هذا الانتصار للثقافة القومية الأمريكية في المنافسة الحضارية تلك، إذا كان يشهد بأن الثقافة لايمكن في نهاية المطاف، إلا أن تكون قومية - بسبب كونها تُعبر عن شخصية المجتمع والأمة حتى وإن كان ثمة مشترك إنساني بينها وبين سواها من الثقافات - فإنه يرفع الستار عن مضمون ذلك الانتصار: المضمون الوحشي العنيف الذي عبّر عنه نفسه في قمع ثقافي - تكنولوجي لسائر الثقافات، أو قل في استغلال انتهازي لتكنولوجيا الاتصالات الحديثة لنقل وتعميم ثقافة لم يكن لها - في عصر الكتابة قبل عقدين - أي سبب للإغراء لدى الإنسانية! وعليه، لسنا نتردد في وصف العولمة الثقافية - كما وصفناها بذلك سابقاً - بأنها الاسم الحركي للأمركة الثقافية.

\- ٢ -

لم تتحقق عملية العولمة الثقافية بالوسائل التقليدية التي كان يجري التوسل بها - سابقاً - لتحقيق تعميم القيم الثقافية، ونعني بها الكتاب (والمجلة والصحيفة استطراداً). بل لايخامرنا شك في أنها ما كانت لتتحقق من خلال هذه الوسيلة التي كانت - عبر التاريخ - واسطته البشرية للتواصل الثقافي بين المجتمعات والحضارات. وذلك لأن المضمون الثقافي، ونوع القيم، اللذين تُعممها العولمة الجارية في الميدان الرمزي، اليوم، ليسا على أية درجة من درجات الأهمية بحيث تكون لهما قيمة في معيار المعرفة والجمال والأخلاق، وبالتالي - ما كانا لينافسا منظومات ثقافية أخرى معاصرة في ثرائها العقلي والأدبي والجمالي، لو أن تلك المنافسة جرت بأدواتها التقليدية: المادة المكتوبة! لقد تحققت العولمة الثقافية بأدوات ووسائط جديدة، من خلال النظام الإعلامي البصري الضارب، والمتسع مدى في امتداد النجاحات، التي أحرزت في ميدان الاتصال، بعد التوظيف التقاني الكثيف فيه، بل إن ولوج العولمة الثقافية من هذا الباب، فرض تغيُّراً حاسماً في أنماط الصراع والمنافسة الثقافيين في العالم المعاصر.

تستدعي هذه الحقيقة جملة من الملاحظات:

الأولى أن النظام الإعلامي البصري يعتمد الصورة مادة ثقافية له، وليس الكلمة، بل في وسعه الاستغناء عن الكلمة بمعنيين: بمعنى مباشر حيث يمكنه إسقاطها كلية وتعويضها بالإيحاء الذي تقدمه الصورة، أو بما تكتنزه تقنياتها من أبعاد ودلالات تجعلها - أحياناً - في غنى عن المصاحبة الكلامية، ثم بمعنى غير مباشر حيث تستطيع الصورة أن تصل إلى المتلقي بصرف النظر عن جهله للغة المصاحبة لها! ولما كانت الصورة مغرية - بطبيعتها - وجذابة، فهي تشد انتباه المتلقي لها وتصل إليه بيُسر محطمة سائر حواجز التلقي التقليدية وفي صدارتها حاجز اللغة!

الثانية أن المادة الثقافية الجديدة هذه (نعني الصورة) تحتكر الانتباه لفترة زمنية أطول مما تحتكره المادة المكتوبة، بسبب طول مدة المشاهدة التلفزيونية في اليوم، ولذلك، فهي تستطيع شحن وعيه ووجدانه، بقيم ومضامين كثيفة، وتكييف ذائقته ورؤيته الجماليتين أكثر مستفيدة من جاذبيتها العصيّة على المقاومة، ومن اتصالها اليومي به (وهو اتصال ثقافي لا يكلف المتلقي عناء اقتناء المادة الثقافية كما يكلفه الكتاب أو المجلة أو الصحيفة!).

الثالثة: أن المادة الثقافية البصرية تقدّم المضمون لمتلقيها جاهزاً، بأساليب الحبكة والتشويق، هادفة إلى تحقيق الشعور بالمتعة لديه. وفي هذه العملية الماكرة، تشل قدرته على التفكير أو التحوُّط النقدي، أو مساءلة المادة المعروضة، فتصل إليه كما أرادت بعد تجريده من أي عدّة - طبيعية أو مكتسبة - للممانعة!

الرابعة أن المادة الثقافية البصرية - وخلاف المكتوبة - تتوجه إلى كل الناس، ويتلقاها كل الناس، ولاتشترك في اكتساب قدر من التعلّم والتكوين - المدرسي - لتلقيها، ولذلك، فهي مادة ثقافية جماهيرية تحكم حاجز الأمية وتخترق سائر الفئات والشرائح: ومن هنا أيضاً - خطورتها!

الخامسة أن النظام الإعلامي البصري ليس نظاماً لتوزيع المادة الثقافية تلك، بل هو نظام إنتاج لها أيضاً. الأمر الذي ينجم عنه القول إن هذا النظام - اليوم - هو نظام إنتاج ثقافة العولمة، أو قل هو النظام الثقافي المسيطر في حقبة العولمة، والخاص بالعولمة من حيث هي نمط أعلى من أنماط الهيمنة: الناشئة والمتطورة في امتداد سيطرة النظام الرأسمالي العالمي!

تُسعف الملاحظات الخمس السريعة السابقة بإلقاء الضوء على مفهوم العولمة الثقافية، وعلى النظام الخاص لانتاج وتوزيع وعولمة قيمها. وهنا في وسعنا أن نُفيض قليلاً في تعريف هذا النظام الثقافي للعولمة بالقول إنه نظام ما بعد الكلمة، أو ثقافة ما بعد المكتوب، نظام تكنلجة الثقافة، أو إخضاع الثقافة لأحكام التكنولوجيا وإسباغ هذه عليها! ومتى أصبحت الثقافة بهذا المعنى: صناعة تكنولوجية بقصد، فإن المعايير التي بها تتحدد قيمتها تتغير تغيراً جذرياً ودراماتيكياً! لاتصبح قيمة الثقافة - بعد ذلك - في مضمون أو محتوى مادتها، بل في شكل عرضها، ثم لايعود هدف الثقافة تحقيق الإقناع بالحجة والدليل، بل ممارسة التأثير على المتلقي بكافة الأساليب، وبالحيل والمخادعة تحديداً!

نتيجتان رئيستان تنجمان عن هذا التعريف لثقافة العولمة: أولاهما أنها ثقافة «شكلانية» أكثر، وإيديولوجية أكثر، من سائر أشكال الثقافة التي عبّرت عن نفسها من خلال المكتوب، وثانيتهما أنها ثقافة لاتنطوي على أية قوة ذاتية، بل إن قوتها في حاملها التكنولوجي! وعلى ذلك، فإن الصراع الثقافي الراهن، بين المجتمعات والثقافات، أو قل بين الثقافات القومية المعاصرة وثقافة العولمة، بات - بسبب التفوق التكنولوجي الأمريكي في ميدان إنتاج وتوزيع الرموز - أشبه ما يكون بالصراع العسكري الدولي الراهن، حيث بات في وسع تقنية الحرب الإلكترونية أن تحسم ذلك الصراع من بعيد وبأقل - أو بدون - كلفة، محتمية بالتكنولوجيا! كانت الحرب التقليدية عادلة بمعنى ما: كانت مواجهة مباشرة بين جيشين على الأرض، أما اليوم فباتت البرمجة ربما قد لاتحتاج غداً إلى جيوش، بل إلى مجرد خبراء ومهندسين يعملون في مكاتب بعيدة بآلاف الأميال عن ساحة القتال، تماماً كما حصل في ميدان الصناعة، في عهد الثورة التكنولوجية، حيث تخلّت - بالتدريج - عن العمال مستعيضة عنهم بخبراء ومهندسي الانتاج، و«بالإنسان الآلي»! من يدري - أيضاً أن يصبح أمر الثقافة كذلك: فتستغني ثقافة العولمة عن المثقفين أيضاً؟!

\- ٣ -

أن تكون ثقافة العولمة بهذا المعنى، وبهذه العُدّة الهائلة من الإمكانيات الضاربة، معناه أن آثار فعلها لن تكون عادية ولا قابلة للقياس بالمقاييس العادية. والحق أن الأمر لكذلك: فالثابت - بالمعاينة المادية - أن فعل العولمة الثقافية يخلّف من النتائج والآثار - في الحقل الثقافي - ما يناظر أو يفوق معنى التدمير الكلي. تكفي نظرة سريعة لمنطق اشتغال العولمة الثقافية لتكوين صورة عن نوع ما تستطيع - هذه - أن تفعله. ولعلنا نكتفي بإلقائها على مجالين: مجال الثقافات القومية، ومجال الثقافة الإنسانية المشتركة: تمارس العولمة الثقافية أشكالاً مختلفة من الاستباحة

للكيانات الاجتماعية - الثقافية القومية: التي كانت محكمة التحصينات الدفاعية الرمزية قبل ثورة الاتصالات والصناعة والتكنولوجية للقيم الثقافية. ومن خلال هذه الاستباحة، تقوم بنشر وتعميم قيمها الجديدة في ما يشبه العدوان على نظام القيم في تلك المجتمعات، ومعاييرها الجمالية والرمزية السائدة، والمعبرة عن الأخلاق العامة، والذوق العام، والمخيال الجماعي. وهي إذ تفعل ذلك بيسر بالغ، فلأنها تستثمر تفوقها التكنولوجي من جهة، وهشاشة نظم القيم السائدة بسبب تفكك نظام الأسرة في المجتمعات الحديثة، وعجز المدرسة كمؤسسة تربوية عن أداء دورها المفترض كمعمل اجتماعي لانتاج القيم! تستكمل العولمة الثقافية منحى التفكك ذاك، بعملية عنف رمزي من الخارج، فلا يبقى بعدها شيء حقيقي من تلك التحصينات الدفاعية الثقافية التي يؤسسها كل مجتمع لحفظ هويته الثقافية!

أول النتائج الناجمة عن اختراق الثقافة المعولمة للكيانات الاجتماعية الوطنية والقومية، أن القيم الثقافية المزروعة - بالعولمة - لاتكون تعبيراً عن النسق الاجتماعي الداخلي، ولا ثمرة طبيعية وموضوعية له، بل تأتي في صورة قيم مقذوفة إلى الداخل الاجتماعي من خارج، وهي - قطعاً - قيم معبّرة عن مجتمع الإصدار (الأمريكي). وهي حين تكون كذلك - كما هي فعلاً كذلك - ستولد في أحشاء هذه الكيانات اختلالات وتشوهات عدة ليس قليلاً أن واحداً منها هو تمزيق النسيج الثقافي الداخلي! الأهم من ذلك - على صعيد الفكر - أنها ستفرز ظاهرة شاذة غير مسبوقة في تاريخ الحضارة: إنتاج نظام ثقافي غير مطابق للنظام الاجتماعي! سيقول قائل: كان هذا أيضاً في السابق حين زُرعت أفكار برانية بعملية قيصرية من الخارج (في حقبة الاستعمار مثلاً). هذا صحيح من وجه، غير أن الفارق فسيحٌ بين زرع حالة ثقافية برانية معزولة عن، أو متوازنة مع، الثقافة الداخلية، وبين تنزيل نظام ثقافي كامل بعملية مظلية!

نظير هذا الاعتداء الثقافي العولمي على الكيان الثقافي القومي يجري - أيضاً - على الصعيد العالمي، بل قل على صعيد المشترك الثقافي الإنساني. ليس من شك في أن هذا المشترك الكوني هو الثقافة الحديثة (والغرب الأوروبي مركزها بامتياز)، غير أن هذا المشترك تحقق بدوره عبر حقب كثيرة متعاقبة من التثاقف والتواصل الرمزي بين المجتمعات والأنساق الثقافية، ولم يكن مجرد حاصل خبرة المجتمعات الغربية حصراً، ومن هنا كونية ذلك المشترك (الثقافي). أما حين تعرضه الثقافة المعولمة للتدمير، مكرسة قيم مجتمع واحد في البسيطة، فهي تثير السؤال نفسه عن معنى وجود نظام ثقافي واحد لسائر البشرية لايُعبر عنها، وعن معتقداتها، وأخلاقها، ومعاييرها الجمالية، نظام لايستمد قوته وشرعيته من القاع الاجتماعي، بل فقط وفقط من التكنولوجيا!

في كل الأحوال، تكشف العولمة الثقافية عن الطبيعة المزدوجة لعدوانها: فهي عدوان على الخصوصيات الثقافية لكل مجتمع وشعب وأمة، وهي عدوان - في نفس الوقت - على الكونية الثقافية الجامعة بين سائر الثقافات! ولعلها في ذلك، صنعت أسباب تحالفات كونية ضدها من حيث لم تحتسب أو تريد!

- ٤ -

ما العمل إذاً بالنسبة إلينا: نحن في الوطن العربي؟

منذ حوالي عشر سنوات، دافع كاتب هذه السطور عن مقولة الأمن الثقافي، محتسباً هذا الأمن في جملة عناصر وأهداف الأمن الاستراتيجي للأمة، جنباً إلى جنب مع الأمن العسكري، والأمن الاقتصادي، والأمن الغذائي، والأمن المائي، بل ذاهباً إلى اعتباره الأس الأساس في برنامج مطالب الأمن، على خلفية زعمه بأن الثقافي هو خط الدفاع الأخير عن الأمة وهويتها وكيانها، إذا ما انهارت خطوط الدفاع الأولى: الجيش، والاقتصاد، والدولة. لكن كثيرين رأوا في الدعوة - بخفة وبغير وجه حق - نداءً من أجل التقوقع والانكفاء، فيما أمرها ليس كذلك على وجه الإطلاق! ولعل من حسن حظ تلك الأطروحة أن وجدت من يدافع عنها في الغرب بعد سنوات، ومن ذلك أننا شهدنا - بالمعاينة - الفصول الساخنة من صراع فرنسا (أم الحداثة والانفتاح) من أجل حماية أمنها الثقافي من الغزو الأمريكي، في ما عُرف في حينه - نعني في مفاوضات أحكام التجارة الحرة - باسم الاستثناء الثقافي. ندع المتأول يتأول على مقتضى مدارك وعيه وعاداته في التقول والتخرُّص، أما كاتب هذه السطور فيكفيه أن يقول: إذا كانت فرنسا - بهذا المعنى - سلفية، فهو سلفي!

غير أن الأمن الثقافي ليس برسم معنى رسخ لدى كثيرين: يُشبهون في الإدراك نقاده! إنه ليس التقوقع والانكفاء والانسحاب من العصر، كما أن الأمن العسكري ليس معناه العودة إلى الدروع والسيوف وأغمادها. بل إن الأمن الثقافي يرادف - في مفهومنا - الدفاع عن ثقافتنا بأسلحة حديثة كما يُدافع جيش عن أرضه وأمنه بأسلحة حديثة. بل إن هذا الدفاع - في حالة الثقافة كما في حالة غيرها - ممتنع تماماً بغير تلك الأسلحة الحديثة. نعم، من السهل أن يطلع من بين ظهرانينا من يُردد فينا عبارة المدافعين عن الحوزة في كل مكان وزمان، فيقول: إن العولمة الثقافية لن تمر إلا على أجسادنا! هذه مكابرة لفظية لا وظيفية لها خارج التعبئة النفسية والتحشيد المعنوي، وهي لاتقدم شيئاً ولاتؤخره في الموضوع، ناهيك عن أن هذه العبارة - المستعارة من الأدب الفدائي - تؤدي وظيفة عكسية في مانحن فيه. فأن لاتمر العولمة الثقافية إلا على أجسادنا، فهذا منتهى الانتصار ومبلغ ما تريده: وهل تريد أكثر من سحق من تقع أحكامها عليه؟ إن الاستشهاد ممكن في حالة أفراد، وقد يكون فعلاً اضطرارياً للدفاع عن حق الجماعة في الحياة، لكن «استشهاداً جماعياً» مما لايمكن تخيله قراراً حكيماً!

لايمكن مواجهة العولمة الثقافة سلبياً، أي بالانكفاء إلى الموروث والتقوقع والتشرنق على الذات، ليس فقط لأن هذا الخيار الدفاعي سلبي، بل لأنه ما عاد ممكناً أمره كما كان في السابق: إبان معارك دعوات الخصوصية والهوية مع الحداثة، فقد دخلت ثقافة العولمة إلى بيوتنا ومهاجعنا دون استئذان! عليه، فلا سبيل إلى كف أذاها وتحييد آثارها السلبية، وقطف ثمراتها الإيجابية - مثل ثمرات جدّتها الحداثة - إلا باكتساب أدواتها وتحصيل علومها والمعارف - التي عليها انتهضت واشتد عودها - وتطوير قدرتنا على التنافس في تعلّم التكنولوجيا الثقافية، وقدرتنا على المنافسة في ميدان انتاجها. إنها معركة جديدة شاملة لن يقوى عليها المثقفون فقط، مثلما كانت معارك المعرفة سابقاً، بل تحتاج إلى حلفٍ عريض مكون منهم، ومن العلماء والمهندسين، ومن الدولة وكافة قطاعات الانتاج، ومن الرأسمال الخاص.

لايخامرنا شك في أن المعركة مع العولمة الثقافية ستكون طويلة، وسنتعلم فيها الكثير بمقدار ما سنفقد فيها الكثير أيضاً. غير أننا نعتقد أنها ستعود - بعد عقدٍ أو عقدين - إلى حدود طبيعية، حينما ستكسر المنافسة العالمية الاحتكار الأمريكي للتفوق الراهن في ميدان توظيف التقانة في الثقافة. حدث مثل هذا في الاقتصاد، حينما كُسر احتكار دول وشركات كبرى للاقتصاد العالمي بصعود مراكز اقتصادية جديدة ومنافستها الأولى بنجاح. ثم حدث مثل ذلك أيضاً حينما كُسر احتكار السلاح النووي ثم أسلحة الدمار الكلي. إنها نفس الجدلية التي ستشتغل أيضاً في ميدان الثقافة والصراع بين الثقافات على الصعيد العالمي ●●

(*) هذه المادة قدمها الكاتب لندوة «التحولات العالمية ومستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين» التي عقدت في دمشق مابين ١٠ - ٢٠٠٠/٤/١٢.

(**) أستاذ الفلسفة - جامعة الحسن الثاني - الرباط.

منظمة العمل الديمقراطي الشعبي المغربية تعقد مؤتمرها الوطني الرابع



عقدت منظمة العمل الديمقراطي الشعبي في المغرب مؤتمرها الوطني الرابع ما بين ٣/٣٠ وحتى ٢٠٠٠/٤/٢ بحضور السيد عبد الرحمن اليوسفي رئيس مجلس الوزراء المغربي الأمين العام للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية حيث ألقى كلمة باسم الكتلة الديمقراطية. كذلك حضر المؤتمر ٣٦ وفداً يمثلون أحزاب وحركات تحرر عربية وأجنبية، من ضمنهم وفد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي للجبهة.

تركزت النقاشات في جلسات المؤتمر حول الديمقراطية في المغرب والوضع السياسي الجديد الناشئ في البلاد حيث جرى التأكيد على أن الديمقراطية هي غاية ووسيلة من أجل تصحيح وإعادة هيكلة المؤسسات والبنى الموجودة بهدف تحقيق النمو المرجو، كذلك حول التطورات السياسية على الصعيدين القومي والدولي، كذلك ناقش المؤتمر تقريراً تنظيمياً تناول التطورات الجارية على حياة الحزب الداخلية ونشاطاته الجماهيريه وانتشاره في معظم المدن والقرى والجامعات المغربية. وتجدر الإشارة إلى الجو الديمقراطي الذي ساد المؤتمر حيث تميزت نقاشاته بالجدية وبروح رفاقية عالية، علماً أن كل جلسات المؤتمر كانت علنية ومفتوحة أمام الإعلام.

ثم ألقى السيد محمد بن سعيد الأمين العام لمنظمة العمل الديمقراطي الشعبي كلمة في جلسة الافتتاح تحدث فيها:

عن نضالات منظمة العمل الديمقراطي الشعبي وأكد على أهمية الديمقراطية وتطويرها في المغرب.

كذلك أكد على وحدة التراب المغربي واستعادة مدينتي سبتة ومليلة من الاستعمار الاسباني وأيضاً طرح فكرة إعادة صياغة الأطروحة القومية وإدراج ذلك في الأفق الأوسع والأرحب المتمثل في بناء مجالات كبيرة للتضامن والتآزر بين الشعوب ودعا الى العمل من أجل تطوير حركة قومية ديمقراطية وحديثة ويتطلب ذلك النهوض القومي إشاعة ثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان.

وأكد السيد محمد بن سعيد على ضرورة دعم القضية الفلسطينية لتبقى المسألة المركزية على الصعيد القومي إلى أن يحقق الشعب الفلسطيني كافة حقوقه الوطنية.

ثم دعا الى تدعيم الوحدة الوطنية الفلسطينية وضرورة العمل على تفعيل مؤسسات م.ت.ف على قاعدة ديمقراطية وائتلافية والاجتهاد في إيجاد الآليات الكفيلة بجعلها إحدى أهم مؤسسات المجتمع الفلسطيني كذلك ربط النضال الوطني الفلسطيني بالنضال القومي العربي وأكد على مساندة الشعب العراقي وتدعيم صموده والعمل على رفع الحصار الجائر والمفروض عليه. ودعوة الحكومات لفك الحصار عن العراق.

الرفيق أبو أحمد فؤاد

هذا وكان الرفيق أبو أحمد فؤاد قد ألقى كلمة في المؤتمر وفيما يلي أبرز ماجاء فيها:

الرفيق المناضل محمد بن سعيد الأمين العام لمنظمة العمل الديمقراطي الشعبي

الرفيقات والرفاق أعضاء المؤتمر الوطني الرابع

باسم الشعب الفلسطيني وباسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قيادة وكوادر وأعضاء وباسم أمينها العام الدكتور جورج حبش. أتقدم لكم بأحر التهاني متمنياً لمؤتمركم الوطني الرابع كل النجاح.

إن منظمتكم تتمتع بالتقدير والاحترام من كل القوى التقدمية في البلدان العربية والأجنبية. وبشكل خاص من قبل قوى الثورة الفلسطينية.

إن الشعب المغربي الشقيق قد قدم تضحيات كبيرة من أجل تحرير فلسطين كل فلسطين فتحية إجلال وإكبار لكل الشهداء المغاربة الذين سقطوا من أجل فلسطين ومن أجل الدفاع عن الأمة وأهدافها ومنع الغزوة الصهيونية الامبريالية من تحقيق أهدافها. وتحية لعائلات الشهداء في هذا البلد العزيز.

إن الديمقراطية الحقيقية مطلب شعبي عربي وبدون أن تصبح الديمقراطية هدفاً يناضل من أجل تحقيقه كل مواطن وكل حزب لن تتمكن هذه الأمة من أخذ مكانها بين الأمم المتحضرة. فالأنظمة بغالبيتها لن تقدم الديمقراطية الحقيقية هدية لشعوبها فهي ليست بهذا الوارد لا اليوم ولا غداً. فبالنضال الشعبي اليومي الجاد والمسؤول والمستمر يمكن الفرض على الأنظمة أن تتخلى عن قمعها وتسلطها وقهر شعوبها.

إن حاجة المواطن العربي للديمقراطية مثل حاجته للخبز ـ فبالديمقراطية والخبز يحيا الإنسان حياة حرة كريمة.

أيتها الرفيقات أيها الرفاق

كما قال الرفيق الأمين العام بالأمس، ان القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة العربية وهي جوهر الصراع العربي الصهيوني لذلك فإن مسؤولية تحريرها من براثن العدو هي مسؤولية عربية. ولايستطيع أي عربي أن يُبرئ نفسه ويقول ما يقبله الفلسطينيون نقبله حتى لو كان حكماً ذاتياً وتنازلاً عن الحقوق والأرض والمقدسات.

ـ ان اتفاقات أوسلو وما أعقبها مرفوضة من قبل جماهيرنا الفلسطينية فهي اتفاقات ظالمة وتسمح للعدو الصهيوني بأخذ كل ما يريد ويعطي للطرف الفلسطيني الذي وقع هذه الاتفاقيات الفتات، لذلك نحن نطالب بوقف المفاوضات مع العدو وإعادة ملف القضية الفلسطينية إلى هيئة الأمم المتحدة والتمسك بقرارات الشرعية الدولية. والتنسيق العربي. والتوقف عن تقديم التنازلات للعدو.

إننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نعمل كل جهد ممكن من أجل تعزيز وتقوية الوحدة الوطنية من خلال إعادة بناء مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية على أسس ديمقراطية. فمؤسسات م.ت.ف مغيبة. وهي قائمة على أسس غير ديمقراطية كما ندعو كل القوى الفلسطينية للتمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني وعلى أساس ميثاقها وبرامجها الوطنية وليس على أساس اتفاقات، أوسلو وما أعقبها من اتفاقات ان حق العودة للشعب الفلسطيني إلى وطنه حق مقدس صانته قرارات الشرعية الدولية خاصة قرار ١٩٤. والذي يعني عودة اللاجئين إلى يافا وحيفا وعكا واللد والرملة والجليل وليس إلى مناطق الضفة والقطاع.

إن شعبنا يرفض التوطين ويرفض التعويض بديلاً للعودة ولا حل لمشكلة اللاجئين سوى العودة إلى أراضيهم وبيوتهم التي شردوا منها عام ٤٨ وعام ٦٧ وهنا نريد من أخوتنا العرب أن يدعموا هذا الحق وأن يرفضوا مؤامرة التوطين التي تسعى الولايات المتحدة والعدو الصهيوني لإقناع بعض الدول العربية للقبول بها.

إن الصراع مع العدو الصهيوني لن ينتهي مهما وقعت من اتفاقيات ومهما طال الزمن.

إننا ندعو الأحزاب والشخصيات الوطنية في البلدان العربية التي تقيم علاقات مع إسرائيل. أن تشكل لجاناً لمقاومة التطبيع تمهيداً لعقد مؤتمر شعبي عربي لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني، تحية لكل لجان مقاومة التطبيع في الأقطار العربية تحية للشعب المغربي الشقيق ●●

بورقيبة في ذمة التاريخ
شخصية مثيرة للجدل

ولد الحبيب بورقيبة في قرية المنستير عام ١٩٠٣، وفي روايات أخرى يقال أنه من مواليد عام ١٩٠٠، أصيب في بداية شبابه بمرض السل الذي كان لاينجو منه إلا طويل العمر.

وهو من إحدى الأسر الوافدة إلى تونس جاءت من طرابلس سنة ١٧٩٥ من مدينة مصراتة الليبية في أيام الحكم العثماني.

كان بورقيبه شغوفاً بالثقافة حيث درس في المعهد الصادقي الذي تخرجت منه شخصيات وطنية عديدة وأكمل دراسته في المدرسة الفرنسية وتخرج محامياً من كلية الحقوق في باريس حيث تشبع بالثقافة الفرنسية وتأثر بها. تعرّف هناك إلى أرملة أحد الفرنسيين فتزوجها وأنجب منها نجلهما الوحيد الحبيب وما لبث أن طلقها عام ١٩٦٢ ليتزوج من السيدة وسيلة المعروفة بلقب الماجدة التي تنحدر من أسرة غنية في العاصمة تونس بعد ثماني سنوات من وصوله إلى الرئاسة، وفي أوج الصراعات على خلافته قام بتطليقها وأعلن ذلك في وسائل الإعلام، فاعتبرت ذلك إهانة لها، مما حدا بها بأن لاتغفر له بتاتاً، رغم أنه أعرب عن ندمه أكثر من مرة. وفشلت كل المساعي الحميدة والجهود والمحاولات الجادة ورفضت مطلقاً زيارته.

يوصف بورقيبه بانه كان ذكياً جداً خلال طفولته وشبابه، تعرض بورقيبه للنفي وقضى سنوات عديدة في السجن إثر مقاومته للاستعمار الفرنسي. تولى رئاسة الوزراء في عهد الملكية في تونس عام ١٩٥٦، ومن ثم رئاسة الجمهورية بصورة مؤقتة ١٩٥٧م وبصورة دورية انتخابية منذ عام ١٩٥٩، حيث احتفظ بالإضافة إلى رئاسة الجمهورية برئاسة الوزراء ووزارتي الدفاع والخارجية وفي عام ١٩٧٥ أعلن نفسه رئيساً مدى الحياة وبذلك يمكن القول بأنه أرسى دعائم النظام الجمهوري بمواصفاته الشخصية.

قام بورقيبه بتشريع عدة قوانين للأحوال الشخصية منحت المرأة الكثير من الحقوق أهمها منع تعدد الزوجات، وتنظيم النسل للحد من التزايد غير المنظم.



اعتمد بورقيبه أسلوب التعبئة والتحريض والتوعية والتنظيم، لإدراكه قدرات الشعب المنظمة على مواجهة وهزيمة الاستعمار والتخلف فخرج بالعمل الوطني وحركته الشعبية ونخبه للشارع، وقد جرب ونقلب في سياسات متعددة ومختلفة، واستقر به الحال بسياسات اقتصادية واجتماعية بورقيبية. وكان حاداً في مواجهة خصومه السياسيين.

شيد بورقيبه خلال فترة حكمه قبراً له ضمن روضة بين أقربائه المتوفين في مسقط رأسه مدينة المنستير، غاية في الجمال والروعة والفن المعماري، كلفت الدولة مبالغ باهظة، وكانت مزاراً للوافدين من الشخصيات على المدينة كما وقد وضع سيناريو مراسم دفنه ودور كل جهاز من أجهزة الدولة والحزب الحاكم في تشييعه إلى مثواه الأخير، لأنه لم يكن يتوقع بأنه سيبعد عن الرئاسة في حياته. لقد كانت نشاطات «المجاهد الأكبر» كما كان يلقب وجولته اليومية التي كان يقوم بها على شاطئ سقانس بالمنستير حيث مسقط رأسه وقبره الحدث الأهم والرئيسي في نشرات التلفزة التونسية.

لقد كان الحبيب بورقيبه من السباقين من الزعماء العرب بدعوته للمفاوضات مع إسرائيل لحل القضية الفلسطينية أواسط الستينات مما أثار عليه غضب الشارع العربي وجعل منه شخصية إشكالية متميزة ●●

د. محمد أبو ناموس

المؤتمر الخامس للجمعية العربية للعلوم السياسية
يعقد في بيروت أواخر الشهر الجاري

بعد طول انقطاع تعقد الجمعية العربية للعلوم السياسية مؤتمرها العام الخامس في بيروت يومي ٢٨-٢٩ نيسان الجاري برعاية مركز دراسات الوحدة العربية وفي لقاء مع الباحث جورج جبور قال أن جمعية العلوم السياسية ابتدأ التفكير بإنشائها في دمشق في أوائل عام ١٩٧٧ ثم تبناها معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وفي ١٩٧٧/١٢/٢٥ صدر عن قسم السياسة في المعهد وكنت رئيسه آنذاك قرار بتشكيل لجنة تحضيرية لإنشاء الجمعية العربية للعلوم السياسية، ورأى أعضاء قسم السياسة آنذاك أن معهد البحوث والدراسات العربية بتكوينه الأكاديمي القومي هو المؤهل الأول من بين الهيئات الثقافية العربية للقيام بدور الريادة في إنشاء الجمعية إلا أن المعهد لم يستطع دعم الفكرة مادياً فتأخر تنفيذها حتى عام ١٩٨٥ حيث تبنى الفكرة مركز دراسات الوحدة العربية وعقد المؤتمر التأسيسي الأول في عام ١٩٨٥ في قبرص. أما المؤتمر الثاني فقد عقد في قبرص أيضاً عام ١٩٨٧ والثالث في القاهرة عام ١٩٨٩ والرابع في عمان عام ١٩٩٢ ثم انقطعت المؤتمرات حتى هذه الفترة حيث تقرر عقد المؤتمر الخامس في بيروت أواخر الشهر الجاري برعاية مركز دراسات الوحدة العربية.

ورد شرح لسبب هذا الانقطاع في رسالة الدعوة التي تلقيتها للإشتراك في المؤتمر وهي مؤرخة في ١٠ شباط ٢٠٠٠ فقد نصت الرسالة حرفياً على مايلي: «ولايخفى علينا جميعاً أن السبب الأساسي لتجميد نشاط الجمعية كان تمثل في زوال مصدر الدعم الأساسي الذي استندت إليه الجمعية».

وحول سؤال هل يؤثر التمويل على نشاطات الجمعية؟ قال: لاريب أنه يؤثر إلا أن الإنصاف يقتضي منا القول بأن الجمعية استطاعت أيضاً عقد عدة ندوات مفيدة علمياً في أمور تشمل الفكر السياسي العربي وكان للجمعية مجلة سنوية هي المجلة العربية للعلوم السياسية، وصدر منها سبعة أعداد، وكان لها نشرة فصلية تتضمن أخبار نشاطاتها إلا أن من الدقة القول أن الجمعية لم تقلع إقلاعاً طبيعياً منذ الأساس، وكان هذا سبب تحفظي على عدد من نشاطاتها، وآمل الآن أن تستطيع الجمعية بدء نهج تصحيحي لمسيرتها لاسيما أن المؤتمر الخامس يعقد في بيروت.

وحول أهداف الجمعية قال: للجمعية منذ الأساس غموض في الأهداف ذلك أن المتمسكين بالفكر القومي العربي رأوا منذ المؤتمر التأسيسي أن هدف الجمعية ينبغي أن يتركز على العمل من أجل الوحدة العربية، ومناهضة الوجود الصهيوني عن طريق الارتقاء بالعلوم السياسيةز إلا أن فريقاً آخر كان يرى أن الارتقاء بالعلوم السياسية هو الهدف الأول والوحيد، هذا الخلاف بين التوجهين أدى إلى أن الجمعية نشرت نظاماً أساسياً لها في بغداد يخالف نظامها الأساسي الذي نشر في القاهرة، ولعل الجمعية في مؤتمرها الجديد تستطيع أن تضع حداً لهذا التناقض في النظر إلى أهدافها.

أما عضوية الجمعية وكما أعلن فهي عضوية فردية إلا أن الجمعية القطرية للعلوم السياسية تلعب دوراً هاماً في توازع المناصب القيادية فالجمعية العراقية للعلوم السياسية تسمي ممثلين عنها وكذلك المصرية والأردنية وغيرها من الجمعيات ثم انتخاب أعضاء اللجنة التنفيذية بالاقتراع السري الحر لكن النتيجة تكون معروفة سلفاً، ولعل من المفيد أن يشكل اختصاصيو العلوم السياسية في سورية جمعية لهم، وأن يسموا أعضاء هذه الجمعية في المؤتمر لتوجهاتها القومية، وحفاظاً على القطر في مسيرة العلوم السياسية العربية:

وحول سؤال إلى أين وصلت جهود تشكيل الجمعية السورية للعلوم السياسية؟ أجاب الباحث جورج جبور: منذ مدة تابعت ما كنت حاولته قبل ربع قرن بالاتصال بعدد من الاختصاصين السوريين بالعلوم السياسية والأمل معقود أن تكلل هذه الجهود بالنجاح وقد يأتي النجاح قبل عقد المؤتمر وقد لايأتي إلا بعد انفضاض المؤتمر غير أن من الضروري القول أن انشاء جمعية سورية للعلوم السياسية طبيعي جداً ومن المهم في القطر مسيرته العامة أن يتبنى انشاء مثل الجمعية وأن يستفيد من خبرات أبحاث المختصين في العلوم السياسية ●●

القضية ضد منظمة التجارة العالمية*

ترجمة: شهناز جابر



شهدنا في سياتل حدثاً تاريخياً هاماً تمثل في أول مقاومة مهمة وقوية في الولايات المتحدة ضد النظام العالمي الجديد، ما حدث ليس أقل من ذلك.

ما حصل في سياتل حدثٌ وحّد منظمات عديدة مثل المنظمات العمالية، المحافظين على البيئة، المدافعين عن حقوق المستهلك، نشطاء حقوق الإنسان ونشطاء الايدز، عمال الفولاذ وحتى حماة السلاحف البحرية، آلاف من الناس انطلقوا في الشوارع لكي يندّدوا بمنظمة التجارة العالمية (WTO).

ـ طبعاً فإننا نرفض العنف والفوضى وتكسير النوافذ والنهب الذي حصل والذي لايمكن قبوله ولكن هذا لايعني أننا قد نؤيد عنف الشرطة وتجاهلها للحريات المدنية كما حدث في مدينة سياتل ومن وجهة نظر إعلامية فإن أغلب الأعمال المعارضة الهامة والأساسية كانت بدون عنف.

ـ وما حدث في سياتل يثبت أنه إذا ما استمرت الحكومات بإبقاء الناس بمعزل عن عملية اتخاذ القرارات واستمرت بإقامة منظمات مثل منظمة التجارة العالمية (WTO) التي بدورها تغلّب مصالح الشركات الاحتكارية على أي شيء آخر فسوف يأتي الوقت الذي لن يتحمل الناس فيه أكثر وسوف يخرجون للشوارع للانتفاض ضد هذا الوضع تماما كما حدث هنا في سياتل.

وما حدث يُعتبر سابقة جديدة لم تحدث من قبل بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وإن كان ليس غريباً بالنسبة لانكلترا وفرنسة وألمانيا وكذلك فهو معروف جداً بالنسبة لدول كثيرة مثل أندونيسيا، ماليزيا، كوريا الجنوبية، الأرجنتين، كولومبيا، المكسيك ودول أخرى كثيرة من دول العالم الثالث والتي ظلت لسنوات تواجه غضب مؤسسات الاحتكار المتعددة مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

أما الآن فقد ظهرت أخيراً المقاومة ضد سادة العالم الصناعي ومن داخل أميركا نفسها، ومن مواطنيها، وقد فهم الأمريكيون أخيراً ما معنى وجود الاحتكارات التي تضغط عليهم وتخفض من مستواهم كما يُقدر الأمريكيون أخيراً أنه عندما ينطلق هؤلاء السادة فإن كثيراً من الأشياء التي تُعتبر ثمينة بالنسبة لهم ستكون في خطر.

إنّ النضال ضد منظمة التجارة العالمية خطر، فهذه المنظمة تملك قوة ضخمة وهي تستخدم قوتها لتعاقب الدول التي تفعل أي شيء مهما كان صغيراً قد يُفسر كوقوف في وجه التجارة الحرة. فقد ذكر تقرير كُتب مؤخراً تحت عنوان «منظمة تجارية لمن؟ اتحاد عالمي وتآكل الديمقراطية» «لقد قررت منظمة التجارة العالمية ومنذ إنشائها عام ١٩٩٥ بأن أي سياسة أمنية أو بيئية أو صحية تُعتبر عائقاً غير قانوني للتجارة».
(see www.citezen.org) (poblic citizen).

ـ إن السياسة الأساسية لمنظمة التجارة العالمية تنص على أن هناك قوانين لعدد من الدول تحتاج لأن تكون أقل تقييداً للتجارة فالقوانين التي تحمي البيئة وحقوق العمال ومستوى التغذية أو حقوق الإنسان يمكن اعتبارها قيوداً غير مناسبة على التجارة.

فإذا ما قرر المحلفون الثلاثة في منظمة التجارة أن هذه القوانين هي عوائق غير مناسبة عندها فإن الدول المذنبة لديها خيار من اثنين إما أن تغير قوانينها أو تواجه رسوماً مكلفة على صادراتها وهنا أمثلة على ذلك:

في مجال البيئة:

في عام ١٩٩٦ قامت فنزويلا بنشر تصريح ضد الولايات المتحدة مدعية فيه أن هناك تمييزاً غير عادل ضد واردات الغازولين الفنزويلي للولايات المتحدة فقد طالبت جماعة الهواء النقي أن يكون الغازولين الأجنبي المباع داخل الولايات المتحدة ليس ملوثاً أكثر من مستوى التلوث لعام ١٩٩٠ في غازولين الولايات المتحدة. إن هذا القانون وحسب وجهة نظر فنزويلا سمح لمنتجي الولايات المتحدة بأن يبيعوا غازاً بمستويات أعلى وقد وافقت منظمة التجارة العالمية وقالت بأنه على الولايات المتحدة الإلتزام بقوانين المستويات المسموحة أو تدفع ١٥ مليون دولار مقابل عدم السماح للغاز الفنزويلي الملوث بنسب عالية من المبيع في الولايات المتحدة. وقد اختارت الولايات المتحدة أن تخفف المستوى وسمحت باستيراد الغاز الذي يمكن أن يسبب مزيداً من تلوث الهواء وأمراض الرئتين.

ـ كذلك فقد قامت الولايات المتحدة بمنع بيع الروبيان المصطاد بشبكات لم تصمم لتسمح لسلاحف البحر بالهروب، إن هذه الشبكات تقتل ٥٥ ألفاً من السلاحف سنوياً ولقد عارضت كل من الباكستان وتايلاند وماليزيا هذا القانون.

وقد أعلن قاضي المنظمة الدولية للتجارة «بأنه ليس من عملنا أن نراجع الضرورة من الأهداف البيئية لسياسة الولايات المتحدة للحفاظ على سلاحف البحر، فمن خلال وجهة نظرنا ـ والكلام مازال لقاضي المنظمة ـ فإن أعضاء المنظمة هم أحرار بوضع أهدافهم البيئية الخاصة بهم وعلى كل حال فإنهم مرغمون على تنفيذ هذه الأهداف بطريقة متلائمة مع أهداف منظمة التجارة العالمية». وبكلمات أخرى فإنه إما أن تفعل مانريد وإلا..

«إنّ هذا الابتعاد عن حماية البيئة قد يستمر وخصوصاً أن الولايات المتحدة تحاول أن تلغي التعرفة على خشب ومنتجات أخرى» حسب رواية لجريدة «وول ستريت» في ٢٤ نوفمبر.

ويخشى المحافظون على البيئة بأنه في حال التخلص من هذه التعرفة أو إلغائها فإن هذا سوف يؤدي إلى زيادة الطلب على القطع الكبيرة من الأخشاب مما سيؤثر على غابات العالم القديمة الباقية.

في مجال التغذية والأمن:

فقد قامت منظمة التجارة العالمية بدعم وموافقة صناعات اللحوم الأمريكية عام ١٩٩٧ ضد الأوروبيين الذين أرادوا حظر اللحوم المعالجة

هرمونياً وكنتيجة لذلك فقد تم ضرب أوروبا بـ ١١٦ مليون دولار كرسوم على بضائعها.

ـ وقد أعلمت منظمة التجارة الدولية اليابان أن عليها مواجهة وإقرار رفع الحظر عن وارداتها على أنواع معينة من الفواكة والتي قد يكون بها حشرات خطرة حتى لو كان التخلص من هذه الحشرات يستلزم استخدام جرعات ثقيلة ضارة.

كذلك فقد هددت الولايات المتحدة بمقاضاة الدانمارك في منظمة التجارة الدولية لإعلانها تحريم بعض أنواع مركبات الأصباغ وبعض العمليات الكيميائية لتخفيض الخطر على صحة الأطفال.

وفي أحيان كثيرة يكون مجرد التهديد كافياً لإجبار دولة أخرى على تخفيض شروطها ومستويات استيرادها كما حدث عندما هددت الولايات المتحدة كوريا الجنوبية عام ١٩٩٥ مدعية أن قوانينها صارمة جداً على تفتيش وفحص اللحوم والفواكة وأن الصلاحية التي تمنح للحوم خطيرة جداً فما كان إلا أن استسلمت كوريا الجنوبية وقامت بتخفيض وقت فحص الفواكة من ٢٥ إلى ٥ أيام وكذلك جعلت صلاحية اللحوم ثمانين يوماً بدلاً من ثلاثين.

كذلك فقد أخذت كندا فرنسا إلى المنظمة في السنة الماضية معارضةً بذلك الحظر الفرنسي على منتجات كندية تحوي مادة الأسبيستوس وهي عبارة عن مادة مقاومة للاحتراق وتعتبر كندا ثاني أكبر منتج لهذه المادة في العالم ولم تفصل المنظمة (WTO) في هذه القضية بعد ولكن، ما قيمة قليل من الاسبيستوس بين الأصدقاء؟!!

والآن فإن الولايات المتحدة تدفع بالمنظمة لكي تحكم ضد بلاد تفرض محددات على الأغذية المعالجة أو حتى بلاد تطالب بوضع بطاقة على بعض الأطعمة تمكن المستهلك من معرفة ما الذي يأكله مما تعتبره إدارة كلينتون من الأشياء التي تعيق التجارة.

في مجال الصيدلة والأدوية:

لقد هددت الولايات المتحدة بأن تقاضي جنوب أفريقيا لدى المنظمة لأن نلسون مانديلا أصدر قانوناً يسمح لمنتجي أفريقيا بانتاج مضادات إيدز رخيصة إذا ما منحوا امتيازات معينة لمطوري هذه الأدوية.

لقد قامت إدارة كلينتون ممثلة بشخص آل غور بالمحاربة من أجل صناعيي الأدوية الأمريكيين الذين لم يعجبهم قانون مانديلا حيث أعلن أحد رجال آل غور «أنه من الواضح أن نائب الرئيس قد قام بنصرة المصالح التجارية للشركات الأمريكية».

حقوق الإنسان وحقوق العمال:

في عام ١٩٩٦ أصدرت ولاية ماساشوستس قانوناً يحظر التعامل مع شركات تتاجر مع بورما بسبب الخرق لحقوق الإنسان في دولة بورما وقد قامت اليابان وأوروبا بتحدي هذا القانون أمام منظمة التجارة معلنة أن هذا القانون عائق غير مسموح به على التجارة وقد حكمت محكمة أمريكية برفض هذا القانون معتبرة إياه بأنه تدخل بالسياسة الخارجية لحكومة الولايات المتحدة بينما وافقت المحكمة العليا بإعادة النظر بتلك الفترة.

وفي عام ١٩٩٨ حاولت ولاية ميريلاند بعمل نفس الشيء بالنسبة للشركات التي تتعامل مع نيجيريا ولكن إدارة كلينتون أجبرت الولاية على عدم التعامل بهذا القانون لأن الولايات المتحدة كانت مهتمة بألا تخسر أمام منظمة التجارة العالمية.

والآن فإن الصين في طريقهالأن تكون عضواً في منظمة التجارة العالمية رغم التقرير المرعب الخاص بحقوق الإنسان في الصين وحقوق العمال وأوضاعهم ولكن هذه المسائل غير مهمة بالنسبة لمنظمة التجارة!

وكذلك ومن جانب آخر فهناك عمالة الأطفال حيث أن هناك دولاً تستغل عمالة الأطفال ومع ذلك ماتزال في منظمة التجارة العالمية وتحارب ضد دول أخرى ألغت هذه العمالة منذ فترة طويلة.

وإذا ما قامت الولايات المتحدة بسن قانون السناتور توم هارلين «وهو ديمقراطي من آيوا» وينص هذا القانون على تحريم استيراد بضائع صنعت بعمالة الأطفال فإن الولايات المتحدة لن تستطيع تجنب الصراع أمام منظمة التجارة العالمية.

حتى قوانين الأجورالتي تحددها مجالس البلديات أو الولايات يمكن أن تعتبر عوائق على التجارة العالميةوتقاضى أمام (WTO) لقد اتى كلينتون إلى سياتل بمزاجه الخاص وبعين على أرضية آل غور السياسية، جاء وهو يدين عمالة الأطفال مدافعاً عن انفتاحية أكثر لإجراءات المنظمة ومدح فكرة الاندماج الصعبة في المنظمة ولكن إعلانه هذا لم يرق للعديد من الدول المتطورة والتي أحست أن كلينتون يسحب البساط من تحت أقدامها.

المختصون بالكتابة عن التجارة الحرة من أمثال توماس فريدمان من النيويورك تايمز يقول بأن محاولة الضغط على منظمة التجارة هي مهمة حمقاء فمن الحماقة أن نحاول الضغط على المنظمة لكي تفرض تصاريح وموافقات على العمل والبيئة أو أي مواضيع أخرى غير اقتصادية وتدور نقاشاتهم حول ما سوف تؤدي إليه هذه المحاولات من تثبيط للتجارة وتخفيض مستويات المعيشة حول العالم وقد تقود لحرب تجارية ولكنهم مخطئون من عدة نواحي.

أولاً: إن فوائد التجارة الحرة كثيرة خصوصاً في العالم المتطور أو في أغلب الدول المتطورة التي لديها تحرر وتطور تجاري سريع وازدياد عدم المساواة في الأجور وتضاؤل التوظيف للعمال غير المهرة والانخفاض الضخم في الأجور من ٢٠-٣٠ بالمئة في البلدان اللاتينية، نسبة لما ورد في تقرير عن مؤتمر الأمم المتحدة عن التجارة والتطور الاقتصادي.

يشير التقرير لـ «Public citizen» إلى أن التدهور الاقتصادي الذي حصل في آسيا منذ سنتين والذي يعود في أحد أسبابه إلى قطاع الاستثمارات والخدمات المالية الذي تحكمه منظمة التجارة العالمية بشدة، وقد أخذ معه ضرائب ضخمة ففي جنوب كوريا على وجه الخصوص ضاعفت الأزمة من البطالة وزيادة نسبة الفقر ٢٠٠٪.

ثانياً: إن العديد من الأمم والدول قد تخدم شعوبها أفضل من خلال حماية بعض صناعاتها الأساسية وتقديم الاعانات ودعم الأشياء الأساسية التي يحتاجها مواطنوهم مثل الطعام والمسكن والوقود ولكن دول العالم الثالث فقدت حقها بالسلطة الاقتصادية منذ أن سيطر صندوق النقد على صناعاتها محولاً إياها إلى منبر للتصدير وتطبيق للنظريات القديمة التي تقول بأنه إذا كانت قوة عملك أرخص وأضعف من قوة عمل جيرانك فإن عليك عندها أن تبقي الأجور منخفضة وتعمل على إغراء الشركات هناك لكي تستخدم عمالك.

ثالثاً: إن مخاطر الحرب التجارية مبالغ بها فالولايات المتحدة هي أقوى بلد تجاري في العالم وكل الدول سوف ترغب بالتجارة معها سواء أحظرت البضائع التي يصنعها الأطفال أم لا. وسواء أصرت على حصول العمال على أجورهم التي تكفي معيشتهم أم لا وسواء أصرت على حماية البيئة أم لا.

إن المسألة ليست عالمية ضد الانعزالية والتوحد فما نحن فيه اليوم ليس عالمياً وإنما اتحاد عالمي، إن قواعد العالم الصناعي تخدم فقط مصالح الشركات الاحتكارية ولاتخدم مصالح أغلبية الناس في هذا الكوكب. إن كل الدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية هم عبارة عن محامين غير مدفوعي الأجر للشركات الضخمة في بلادهم فعلى سبيل المثال فإن شيكويتا لم تحب تفضيل أوروبا شراء الموز من المستعمرات الأوروبية لذا فقد قدمت إدارة كلينتون احتجاجاً لدى منظمة التجارة العالمية ضد أوروبا.

إن عمل أمريكا ليس عمل شيكويتا ولكن بالنسبة لمنظمة التجارة العالمية فهو كذلك وقد أشارت «Publiccitizen» بأن إدارة كلينتون قدمت احتجاجاً لمنظمة التجارة العالمية بالنسبة للموز ـ وهو المحصول الذي لاتزرعه الولايات المتحدة للتصدير ـ وبعد عدة أيام قامت شركات شيكويتا بمنح ٥٠٠,٠٠٠ دولار للحزب الديمقراطي.

وهكذا فإننا وباختصار لدينا نظام عالمي للاحتكارات ومن قبل الاحتكارات ومن أجل الاحتكارات.

وبالطبع فهناك عدة بدائل كما يشير بات بوكانون والذي يعرض فيها الوحدة والانعزالية التقليدية والتي هي محمّلة ومليئة بالادعاءات المحلية والوطنية عن تفوق الولايات المتحدة والرعب من أن يحكم العالم بلد واحد والتحامل ضد العالم الثالث ●●

(*) The Progressive: January 2000.

القمة الأفريقية - الأوروبية وأزمة الديون القاتلة

أيـمـن عـوض

في الثالث من ابريل /نيسان/ الجاري، احتضنت القاهرة القمة الأفرو - أوروبية التي انعقدت بحضور حشد مكثف ومهم وصل إلى ٦٧ من ملوك ورؤساء القارتين.

ووسط آمال كبيرة، عقدها الأفارقة على هذه القمة لناحية إنشاء شراكة أوروبية - أفريقية، تكون فيها أوروبا جسراً لأفريقيا نحو مجال تعاون اقتصادي وشراكة، وكيفية الاندماج والتكامل بين القارتين في إطار العولمة والتكتلات الإقليمية والقارية. ووسط مراهنة أفريقية على حل أكبر معضلة تواجه دولها وهي قضية الديون الأوروبية التي وصلت إلى ما يزيد عن ٣٥٠ مليار دولار. إلا أن الأوروبيين ربطوا ما بين موضوعة إلغاء الديون لبعض الدول وإعادة جدولتها للدول الأخرى وبين التوجهات السياسية السائدة في دول أفريقيا لناحية الديمقراطية والتعددية.

من هنا ممكن استخلاص أن الاشتراطات الأوروبية لإلغاء الديون. ما هي إلا مجرد حديث عام ليس أكثر. ففي الوقت الذي تحتضن فيه أفريقيا ما يزيد على ٧٠٠ مليون نسمة، نجد انها لاتتلقى سوى ٢٪ من الاستثمارات العالمية، ناهيك عن أن افريقيا تقع فيها ثلاثة ارباع الدول الأكثر فقراً ونمواً في العالم. اضافة لذلك فإن ٦٦٪ من الدول الافريقية لاتملك أي منفذ بحري. ووجود مايزيد عن ٦٩٪ من المصابين بمرض نقص المناعة المكتسبة في أفريقيا ونحو ٤٥ مليون طفل محرومين من التعليم، وهي أكثر المناطق التي تعرف بانخفاض مستوى الانتاج الغذائي في العالم وبالتالي تهديدها بشبح المجاعة للعديد من بلدانها، وتاتي أوروبا بعد ذلك وتتحدث عن حياة ديمقراطية في هذه القارة.

هذا الأمر ذاته الذي اضطر الرئيس المصري حسني مبارك إلى القول إن «أي حديث عن الديمقراطية قبل توفير الطعام للافارقة، نوع من العبث، فما معنى الحديث عن الديمقراطية مع إنسان جائع ومفلس، وعلينا لكي نكون واقعيين توفير الطعام للجائع أولاً قبل الحديث عن الديمقراطية» وفي نفس السياق كان حديث الرئيس الليبي حين قال «لابد وأن تتركونا وحالنا، حيث أن مفاهيمنا وثقافتنا تختلف عن مفاهيمكم، لانريد منكم دروساً.. الناس في أفريقيا محتاجون إلى الطعام والدواء، والإنسان الأفريقي يريد أن يأكل ويشرب ويكافح الملاريا».

هذه اللهجة التي تعاطف معها الكثير من الأفارقة تؤكد على أن المقاييس الأوروبية (سواء كنا متفقين مع الأوروبيين حول موضوع الديمقراطية أم لا) لإلغاء الديون المترتبة على افريقيا، هي مجرد سراب لايمكن معه أن يتحقق منه إطفاء الظمأ.

ولكن كيف تراكمت ديون .أفريقيا ولماذا عجزت هذه الدول عن تسديدها؟! لمعرفة ذلك لابد من الحديث عن سياسة الاقتراض التي كانت متبعة في السابق، حيث أن الاقتراض كان عنصراً أساسياً من عناصر التمويل والتنمية وهو بشكل عام كان يشكل المظهر الأساسي للنظام الاقتصادي العالمي، ولكن هذا مقرون بجانب أساسي، وهو أن تكون القروض في مساراتها الصحيحة، حيث يعزز ذلك من زيادة النمو ويحسن مستوى المعيشة للافراد. ولكن في حالتنا هذه وفي آليات الاقراض الحديثة التي زادت من المديونية بشكل جنوني من خلال الفوائد المترتبة على القروض، الأمر الذي جعلها تؤثر على العديد من دول العالم الفقيرة.

ففي الفترة التي رفعت فيها «أوبيك» أسعار النفط في السبعينات، الأمر الذي ساهم في توفر سيولة نقدية كبيرة لديها، أودعتها في البنوك الأوروبية، التي قامت بدورها للبحث عن مصادر لتشغيل تلك الودائع كي تتمكن من دفع فوائدها للدول المودعة، فكان من تلك المصادر هو البحث عن دول بحاجة لقروض وتحديداً النامية منها عن طريق اغراءات في أسعار الفائدة المعطاة تكون أدنى من سعر التضخم.

هذا الأمر ساهم في اقتراض سيولة نقدية وبأشكال أكثر من عشوائية دون توفر الحد الأدنى لدى هذه الدول ـ النامية والأفريقية على وجه الخصوص - في أبواب استثمار هذه الأموال في مشاريع بناها التحتية وتطوير الصناعة والزراعة لديها. وفي نهاية السبعينات عاد النفط للارتفاع من جديد في الوقت الذي انخفضت فيه أسعار المواد الأولية وبشكل حاد. وهو الأمر الذي أدى إلى تفاقم الكلفة المستحقة على دفع القروض وتسديدها في وقتها مما ساهم في زيادة الفائدة المترتبة على خدمة هذه الديون.

أمام هذه المعضلة الحقيقية وخوفاً من شبح الانهيار في الدول المدينة قامت هذه الدول ومن جديد للاقتراض مرة أخرى من أجل التسديد والإيفاء بالإلتزامات المترتبة عليها. الأمر الذي انعكس على تعطيل النمو الاقتصادي وأدى إلى تراجع الاستثمارات الخارجية وإيجاد جو من عدم الاستقرار الاقتصادي في تلك البلدان. وهو ما انعكس وبشكل كارثي على مستويات الدخل وازدياد الفقر في تلك البلدان، ومواجهة هذه الدول للعديد من الصعوبات في إعادة هيكلة موازناتها. فالدول الأفريقية تنفق مثلاً على خدمة الديون البالغة ٣٥٠ مليار دولار أكثر مما تنفقه على الرعاية الصحية والتعليم وتربية الأطفال في بلدانها الذين يصل عددهم إلى ٢٠٦ ملايين طفل. فالبلدان الأفريقية التي تقع جنوب الصحراء الكبرى، تستنزف منها الديون ٤٠٪ من الموازنات الوطنية سنوياً. وفي المقابل لاتحظى خدماتها الاجتماعية الأساسية أكثر من ١٣٪ من الموازنة.

هذا الموضوع انعكس سلباً وبشكل واضح على تعطيل النمو في مجالات الصحة والتنمية الاقتصادية هناك. فنجد مثلاً أن مرض الايدز قد قضى على أكثر من ١,٨ مليون شخص في أوغندا لوحدها. وأصبح فيها مايزيد على ١,٧ مليون طفل يتيم بعد أن قضى أهلهم من مرض الإيدز. كما أنه ومن أصل ١٤ مليون مصاب بهذا المرض قد توفوا في أنحاء العالم نجد أن هناك ١١ مليون منهم في أفريقيا لوحدها. وفي زيمبابوي نجد أن مرض الايدز سيستنزف ٦٠٪ من الموازنة المخصصة للصحة في العام ٢٠٠٥.

وبسبب هذه الديون المرهقة والكبيرة نجد أن الدول الأفريقية مضطرة إلى تحويل مواردها لخدمة الديون. كما أنها تجيّر المساعدات التي تصلها إلى خدمة هذه الديون، وبالتالي يعود ريع هذه المساعدات مرة أخرى إلى الدول الدائنة حيث تقوم تنزانيا مثلاً بدفع دولارٍ من كل ثلاث دولارات وزيمبابوي تدفع دولاراً من كل دولارين لتسديد الديون. فبدلاً من أن تكون هذه المساعدات لخفض مستوى الفقر وزيادة الناتج وتعزيز الاقتصاد وتطوير مجالات الصحة. نجدها تعود من جديد إلى الدول المانحة تحت عنوان تسديد القروض وفوائدها.

هذا كله في الوقت الذي انخفضت فيه المساعدات المقدمة من الدول المانحة إلى ٤٨,٣ بليون دولار في العام ١٩٩٧، أي إنخفاض بنسبة ٢١٪ عما كانت عليه في العام ١٩٩٢.

ومن هنا، نجد بأن الديون المترتبة على افريقيا، هي إحدى المشاكل الجدية والخطيرة التي من الممكن وفي حال قامت الدول الغنية باعفائها منها ان يتحقق التقدم والاستقرار وينعكس على مستوى الدخول والنمو الاقتصادي فيها ●●

قضـايا ثقافية

«نواصي» المسرحي التونسي عز الدين قنون: أعادت للمسرح وجهه المشرق!

العرض المسرحي «نواصي» للمخرج التونسي عز الدين قنون، كان الضيف العربي الأول على موسم المسرح القومي في سوريا للعام ٢٠٠٠. وقد استقبل الجمهور المسرحي هذا العرض بحرارة عالية، مما يؤكد أن اختلاف اللهجات ليست عائقاً أمام الفن بشكل عام، والفن المسرحي بشكل خاص، لاسيما إذا كان العرض محمولاً على لغة ذات علامات دلالية على مستوى التمثيل والإخراج والسينوغرافيا، وتشكيل الفضاء المسرحي إذ تغدو مفردات اللغة، أو الحوار بهذا المعنى عنصراً ضمن عناصر كثيرة تشكّل بمجموعها جسر تواصل بين العرض المسرحي والجمهور الذي صفّق طويلاً لهذا العرض.

لابد من الإشارة، إلى أن العرض هو إنتاج مشترك بين المسرح العضوي ـ تونس، ومسرح الفوانيس ـ الأردن، وبالتالي فإن مشاركة ممثلين أردنيين (محتسب عارف.. وسحر خليفة) قد ساهم إلى حدٍّ كبير في التخفيف من حدّة اختلاف اللهجات، حيث قربت اللهجة الأردنية الكثير من المعاني التي كانت تضيع بسبب صعوبة فهم اللغة التونسية، لكن الأهم من ذلك، هو الاقتراحات الفنية والحلول الإخراجية لعز الدين قنون التي كانت سبباً مباشراً في تفاعل الجمهور السوري، والمشرقي عموماً مع هذا العرض المسرحي المتميز.

تنهض فكرة العرض، حول بحث الانسان العربي عن مسألة الهوية.. أو الانتماء في ظل انهيار القيم، وتداخل المعايير والتراجعات المرعبة على كافة الأصعدة الروحية والمادية للمجتمعات العربية. يتبدّى ذلك في سياق الحكاية من خلال: ضياع الحب، وانكسار الأحلام، وتراكم آليات القمع الاجتماعي تحت عناوين ويافطات متعددة، وفي هذا الإطار يغدو الفضاء العربي موحّداً، والمكان ليس مهماً (الأردن، أو تونس، أو...) حيث السلطة البطريركية تفرض سطوتها، لتمنع الغناء والكلام والأحلام والهواء.. وتخلق الحواجز، وتكرّس العقد النفسية من خوف وتردّد وإذعان..

لقد استطاع المخرج عز الدين قنون تحويل المقولات والأفكار المكثفة التي يكتنز بها العرض إلى لغة مسرحية، مشحونة بالعلامات الدالّة التي كان يبثّها في الفضاء المسرحي من خلال حركة الممثل، وتعبيرات جسده التي وظّفها في الرقص والإيماء، والغناء، والباليه، والإكروبات، وأيضاً من خلال استغلال السينوغرافيا، وباقي عناصر العرض المسرحي من: ديكور وأغراض، وإضاءة وموسيقى تصويرية وملابس الخ.. التي وظّفها توظيفاً خلاّقاً أثار الدهشة والمتعة الذهنية والبصرية في نفوس المشاهدين الذين تفاعلوا مع هذا العرض تفاعلاً حاراً على مدار أقل من ساعتين بقليل تقريباً.

بإمكاننا القول: أن هذا العرض أعاد للمسرح العربي وجهه المشرق الذي طالما كنا بأمس الحاجة إليه.

الهدف الثقافي

الساعي، بيلونة، مسعود، عبد الحميد

التراث والحداثة التشكيلية في تجارب جديدة

علي الكردي

ثمة تقاطعات لافتة برزت في أعمال أربعة من الفنانين التشكيليين الشباب الذين عرضوا أعمالهم في الآونة الأخيرة بدمشق، وهم: خالد الساعي، جورج بيلونة، عبد الحميد عبد الله وجهاد مسعود، إذ رغم تباين الأساليب التعبيرية، والتقنيات والخامات المستخدمة، والموضوعات التي قاربها كل واحد من هؤلاء، فقد التقوا جميعهم حول نقطة أساسية في بحثهم التشكيلي وهي: الجمع في لوحتهم بين نظرة عميقة لتراث المنطقة وثقافاتها البصرية، وبين رؤية حداثية لعناصر اللوحة التشكيلية وفلسفتها الجمالية، لذلك بإمكاننا القول: أن تجارب هؤلاء الفنانين تؤهلهم لأن يكونوا امتداداً طبيعياً للحركة التشكيلية السورية التي دأبت منذ سنوات طويلة في البحث عن مفرداتها الخاصة، ورموزها بالاتكاء على موروث المنطقة، وحضارات سورية القديمة بدءاً من الرُقُم المسمارية الأوغاريتية، والمقابر الوثدية التدمرية، أو فن المنمنمات والزخارف الإسلامية الهندسية والنباتية والحروفية، وانتهاء بالصياغات الحديثة للثور المجنّح، الذي وُجد على جدران المعابد والكهوف السورية القديمة في إيبلا وغيرها من المواقع الأثارية، لذلك فتجارب هؤلاء تضيف دماً جديداً، وتضفي ألقاً إضافياً يغني تجارب الأصوات التي سبقتهم من أمثال: حمود شنتوت، وأحمد معلا، وصفوان داحول، ومحمد الوهيبي ونزار صابور.. الذين رفدوا الحركة التشكيلية السورية في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي بتجارب جديدة.

يتناول جهاد مسعود في سرد بصري آخاذ حكايا الإنسان الأول، الذي بدأ مع أول خط رسمه على جدران الكهوف.. والمعابد، يروي قصة خلقه الوجودي، ويطرح أسئلة الموت والحياة في محاولة منه لفهم ألغاز هذا الكون الذي يضجُّ بالظواهر الطبيعية الخارقة، لذلك تبدو لوحته لكأنها صاعدة من أعماق الذاكرة، لتبني عالماً شاسعاً من تلك الرؤى التي تتكئ على المنابع الأولى، وهكذا تتتابع مروياته، المرصوفة إلى جانب بعضها كالمنمنمات، ليحيك من نسيجها موضوعاته التي تجمع بين شظايا الذاكرة الجمعية لإنسان هذه المنطقة في سياقات إنسانية معاصرة، حيث يستعير رموزاً حيوانية وإنسانية على شكل تمائم وتعويذات لوجوه إنسانية وطيور وأسماك، وبيوت قديمة وجدران معلقة ونوافذ معشّقة.. وأزهار ذابلة.. ومن هذه المفردات التي تنتمي لتراث المنطقة شكّل فضاء يعبّر عن هوية ثقافية وفكرية محددة لإنساننا العربي الذي عاش على هذه الأرض منذ آلاف السنين. أما على الصعيد التقني فقد استخدم مسعود خامات التصوير القديمة (الحوّار الكلسي، والخطوط المنحنية، العفوية) التي أسس عليها سرده البصري الأخّاذ.

أما جورج بيلونه المأخوذ بالرؤى والأحلام، والصياغات البصرية لأشكال الحت، والآثار العفوية لآثار الزمن على الجدران، فهو يتابع تجاربه في رسم الأيقونة السورية المعاصرة بمعناها الروحي والجمالي، وغيرها من الموضوعات مستفيداً من الرقم والوثيقة والأختام السورية القديمة التي يضمنّها لوحته التي تحتشد بالرموز والأشكال الإنسانية والحيوانية، وأحياناً الهندسية التي تستمد ملامحها وأشكالها وألوانها من مسقط رأسه في شمال سورية وفي هذا الإطار فهو ينهل من مخزون الأسطورة الفينيقية، وكذلك يوظّف الحرف السرياني بتخطيطاته وتعرجاته كما يفعل مع «الأيقون غرافيك»، حيث يعالج كل هذه الرموز والأشكال على جدار «فرسك» معجون بالتراب والزيوت، وبالنتيجة تبدو لوحته وكأنها لقى أثرية، أو لوحات كنسية قديمة معتّقة.

إن بيلونه يقف طويلاً أمام لعبة الزمن، حيث يمزج بين الماضي والحاضر.. فالماضي هو الذاكرة، واللاوعي، والخلفية التراثية وملامح الأسطورة، والطبيعة ذات الملامح المكانية المحددة، فيما الصياغة التشكيلية، أو الوعاء التشكيلي المميز للوحته يعيد تكوين الحياة في ملامحها الراهنة، وروحها المعاصرة، وهو بذلك يضفي أبعاداً حداثية وروحانية، وصوفية في آن على لوحته المكتنزة بالتفاصيل التي تبعث على التأمل في معنى الوجود ومعنى الزمن، ودوافع العنف والقسوة الكامنة في النفوس المعاصرة التي تحاول الانعتاق نحو فضاءات مفتوحة على الحرية والحب والأمان.

نفس التقاطعات التي تحدثنا عنها حول رموز الأسطورة والجدار، والأشكال الإنسانية والحيوانية، ولون التربة الذي يعكس ملامح الصحراء التي تتميز بها ألوان بلادنا.. (مساحات شاسعة من البني، لون التربة) نجد أصداءها أيضاً في لوحة الفنان عبد الحميد عبد الله الذي يوظف الأيقونة كما يفعل جورج بيلونة ليغني لوحته بالأبعاد الروحانية، وكذلك يركز على التفاصيل التي يرصفها بأشكال ورموز متعددة إلى جانب بعضها البعض لتظهر كالمنمنمات، وهو بأشكاله الحركية ووضعياتها المختلفة يعبر عن كثافة اللاوعي الذي ينساب بحرية وحيوية تعكس الغنى الداخلي لإنسان المنطقة، فعشتار حاضرة في لوحة عبد الحميد. المرأة - الحلم.. والخصب والتجدّد.. والرجل في علاقته اللاهثة وراء هذه المرأة، مدفوعاً بالرغبات الحسية والعاطفية، نراه كذلك في حالة صراعية لا متناهية محكومة بالكسور والشروخات لذلك فالمساحات الخضراء في لوحة عبد الحميد هي مساحات محدودة بينما تمتد المساحات البنية، الترابية بألوانها القاتمة (لون الجدار أو التربة أو الطين) الذي هو أساس الخلق وسر الكون، وبهذا المعنى فإن

الحدس، والطابع المشرقي لصياغة التراث في لوحة عبد الحميد يبدو وكأنه صياغة ذاكراتية وجسدية تعتمد اللاوعي المنثال ولبس الأيديولوجية المعقلنة فهو كما يبدو يظهّر معاناة الطفولة، واللوحة بهذا المعنى، لا تملك هاجساً لمصلحة الحكايا والأساطير الشعبية، بقدر ما تحيك هذه الحكايا، أخيلة المبدع، وجيناته وخلاياه.

أما الخط الأسود الذي يشق اللوحة طولياً أو عرضياً، فهو لون التخطيط منذ عصر الكهوف، فالإنسان الأول بدأ الرسم بأقلام الفحم والحوار ورغم التقنيات المتطورة المعاصرة، فإن الوسيلة البريئة والغريزية والمباشرة في التعبير عن سحرية الوجود وعظمة الكون، هي تلك الخطوط السوداء التي تكسر ذاك التوق للانعتاق، وتحدّ من الانطلاق، وتحاصر الكائنات بآلاف المنوعات، إن الموسيقى الحركية للخطوط المنحنية التي تجسد عذوبة المرأة وليونتها وحضورها الأنثوي في لوحة عبد الحميد تضيف أبعاداً جمالية وإنسانية غايةً في الغنى والتنوع مما يدلل على الطاقة والحيوية الكبيرة التي يتمتع بها هذا الفنان الشاب الذي تشكل تجربته إضافة حقيقية للفن التشكيلي السوري.

أما خالد الساعي فقد عرض مجموعة جديدة من أعماله التي جمع فيها بين الخط والغرافيك في تكوينات جمالية بديعة ومبتكرة، وقد اتّكأ الفنان على التراث الزخرفي الإسلامي للأشكال الهندسية الحاضرة في كل حرف، لكي يبرز الكل على شكل قاعدة المثلث والدائرة والمربع.

بدأ الفنان الساعي دراسته بأكاديمية الفنون الجميلة بجامعة دمشق، حيث تعلّم أن يُقدّر عالياً نظريات الإنطباعية والتعبيرية بهدف بلورة أسلوبه الخاص. ذلك لأنه أراد أن لا يقف عند حدود احتراف الخط، بل أراد إضافةً إلى ذلك أن يكون فناناً غرافيكياً، وقد نجح في مسعاه هذا، حيث استطاع من خلال دراسته الجادّة أن يبلور من جديد خطوطاً للحروف، جعلها أكثر تعبيرية وحيوية وفي الآن ذاته استخدم اللون كعنصر إضافي لتكتمل لوحته بعناصرها التشكيلية، حيث حرّر الحروف من القراءة، وجعلها تخضع للتوازن بين الكتلة والفراغ «حروف ساكنة في درجة حركتها».


لوحة للفنان خالد الساعي

كذلك تأثر الفنان بالموسيقا الشرقية، ودرس أنماط تطور الهارموني بين الخط والكتابة، باحثاً عن صور دفينة مما جعل لوحته زاخرة بالصور البصرية الشاعرية». وأخيراً عمل على اكتشاف الحبل السرّي ما بين أشكال الطيران «طيور» والأشكال المادية «الماء.. المعادن» وفضّل الولوج إلى الكتابة مع الفنون الحديثة من خلال السيراميك والفنون البصرية الأخرى.

هذا الفنان قدّم الموسيقا من خلال خطوط الحروف العربية، كما لو كانت مادة مرئية، أو لِنقُل لغة بصرية لها وسيلتها الكاملة، بل الأكمل. وعلى صعيد التقنيات يستخدم الفنان الورق التقليديّ المحضَّر بمواد خاصة.. وكذلك يستخدم أحباراً تقليدية خاصة مما أضفى على لوحته فرادةً إضافية ●●


لوحة للفنان جورج بيلوني

هل سرق كنفاني (فوكنر)؟

د. عادل الأسطة

يورد فضل النقيب في كتابه «هكذا تنتهي القصص.. هكذا تبدأ» المقطع التالي:

«أمس انتهيت من كتابة السطور الأخيرة من قصتي الجديدة، وعندما وضعت القلم ونهضت لأغادر الغرفة حدث شيء غريب، كان وليم فوكنر أمامي يصافحني ويهنئني!» (ص٧٧) ويتابع:

«ضحكنا طويلاً حتى عاد بلال ليقول:

ومع هذا فلقد استاء غسان من تركيزي في المقال على أسلوب فوكنر» (ص٧٧) ولأن النسخة التي أمتلكها من كتاب النقيب تفتقد الصفحتين ٧٥-٧٦، فإن الكلام الأول يبدو كلام غسان، وذلك لإشارته إلى الانتهاء من قصته الجديدة التي هنأه عليها (فوكنر) كما شعر. وأياً كان صاحب الكلام فمما لاشك فيه أن دارسي كنفاني في حياته أشاروا إلى تأثره بوليم فوكنر، وبخاصة تأثر رواية الأول «ما تبقى لكم» برواية الثاني «الصخب والعنف»، وقد نقل الأخيرة إلى العربية الأديب جبرا إبراهيم جبرا، وكان كنفاني قد قرأها، قبل ترجمتها، بلغتها الأصلية التي كان كنفاني يجيدها إجادة تامة.

ولم يكن بلال الحسن الوحيد الذي أشار إلى تأثر كنفاني بـ (فوكنر)، وإن كان الأسبق. لقد تتابعت، فيما بعد، الإشارات والدراسات، وقد صدرت هذه عن دارسين كثر، عرباً وأجانب.

تكتب رضوى عاشور في كتابها «الطريق إلى الخيمة الأخرى: دراسة في أعمال غسان كنفاني»١٩٧٧:

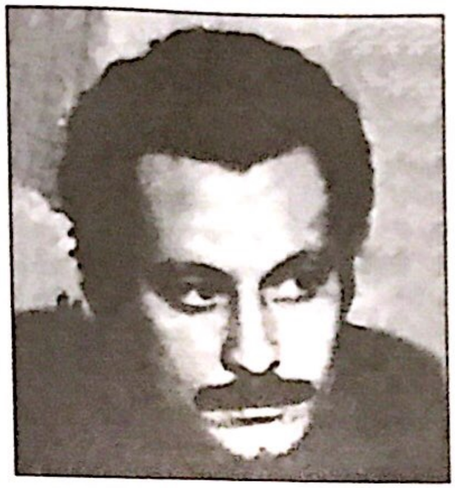
«ومن الواضح أن غسان في اتجاهه التجريبي هذا كان متأثراً، إلى حد بعيد، بإنجازات الرواية الأوروبية والأمريكية في الثلث الأول من هذا القرن، وخاصة برواية «الصخب والعنف» للكاتب الأمريكي (وليام فوكنر)»(ص٨٢).

وتتابع الدكتورة:

ولقد أقر غسان بهذا التأثر في حديث إذاعي أعيد نشره في مجلة «الهدف» بعد استشهاده، قال:

«بالنسبة لفوكنر أنا معجب جداً برواية «الصخب والعنف» ـ وكثير من النقاد يقولون إن رواية «ماتبقى لكم» هي امتداد هذا الإعجاب بـ «الصخب والعنف»، وأنا أعتقد أن هذا صحيح أنا متأثر جداً بفوكنر.. ولكن «ما تبقى لكم» ليست تأثراً ميكانيكياً بفوكنر، بل هي محاولة للاستفادة من الأدوات الجمالية والإنجازات الفنية التي حققها فوكنر لتطوير الأدب الغربي»(ص٨٣).

وترى رضوى عاشور ما هو أكثر من ذلك. إنها ترى أن «ماتبقى لكم» تحمل أصداء واسعة من الفصل الثاني بالذات من «الصخب والعنف»



(ص٨٢) وتأتي في الصفحات الثلاث اللاحقة على أوجه التشابه، وتصل إلى النتيجة التالية:

«إن الرؤية لدى كل من غسان كنفاني ووليام فوكنر مختلفة اختلافاً جوهرياً. أما التأثر فهو تأثر شكلي بحت. لقد قرأ غسان رؤية فوكنر وسحر بها واستعار منها العديد من إنجازاتها الشكلية، ولكنه أخذ يطوع هذه الإنجازات من أجل التعبير عن موضوع له خصوصيته الفلسطينية. كان غسان كاتباً واعياً بحرفته وجريئاً في إقدامه على التجريب الشكلي، ولكن هذا الإقدام لم يتخذ شكل المغامرة غير المسؤولة»(ص٨٦).

ما أنجزته د. رضوى عاشور توقف أمامه الشاعر عز الدين المناصرة في كتابه «المثاقفة والنقد المقارن: منظور إشكالي»(١٩٩٦) حيث كتب سبع عشرة صفحة تحت عنوان: أثر رواية «الصخب والعنف» لوليم فوكنر في رواية «ما تبقى لكم» لغسان كنفاني (ص٢٠٧-٢٢٣). وكان الشاعر قد نشر هذه الدراسة في مجلة «المهد الأردنية» (ع٥/ سنة ١٩٨٤) كما أعاد نشرها في صحيفة النصر الجزائرية في كانون ثان/ عام ١٩٨٥ ويشير المناصرة إلى أن نقاد «ما تبقى لكم» قد يكونون أشاروا إلى تأثر كنفاني بفوكنر، ولكنه لم يطلع عليها، واكتفى بإشارة ناشر الطبعة الثالثة لرواية «ما تبقى لكم» (ط٣/١٩٨٣)، وبدا الناشر للمناصرة مثقفاً، وذلك من خلال إشارته التي صدر بها طبعته:

«ما تبقى لكم: هي إحدى المحاولات التجريبية في الرواية العربية، كنفاني يتأثر بفوكنر، ولكنه لايكتفي بالتأثير السلبي، يميل هذا التأثر إلى نبض لغوي أصيل ويجعل من العلاقات المتشابكة صورة للواقع العربي الذي يحاول أن يتمرد على ذاته»(المناصرة، ص٢٠٧).

ويعقب المناصرة على قول الناشر:

«ونلاحظ منها أن الناشر ينطلق من مقولة أو إحساس نقدي خاطئ، وهو أن التأثير صفة سلبية كما هو شائع، ولهذا يدافع عن رواية غسان بقوله «ولكنه لايكتفي بالتأثير السلبي» والدفاع الآخر الخاطئ، هو في قول الناقد.....»(ص٢٠٧/ ص٢٠٨).

ويشير المناصرة إلى أن غسان كان ينزعج من الحديث عن تأثره بفوكنر، ويرجح أن سبب انزعاج غسان يعود إلى أن فهم التأثر والتأثير في ذلك الوقت كان يرتبط دائماً بصفة سلبية. (ص٢١٥).

وبعد أن قام المناصرة بقراءة استبطانية لروايتي كنفاني وفوكنر، استخلص التشابهات بينهما، ولاحظ تأثر كنفاني بفوكنر في النقاط التالية:

التقنية الطباعية والتداعي واللغة الشعرية المتوترة والمعادل الرمزي والزمن والثنائية (صراع الأبيض والأسود/ صراع العربي واليهودي) وبنية الحرام (الزنا) وصورة اليهود وبنية التمزق والتشتت.

وخلص المناصرة إلى ما يلي:

«نستطيع الآن أن نحدد نقاط التأثر السلبية لدى كنفاني بالنقاط التالية: (التقنية الشكلية ـ الزمن ـ فكرة الحرام) ونستطيع أن نقول إن نقاطاً أخرى تعتبر نقاطاً مشتركة في التراث الروائي: (التداعي ـ المعادل الرمزي ـ الثنائية ـ اللغة ـ التشتت) وتبقى النقاط الايجابية لدى كنفاني متمثلة في.. الحل وصورة اليهود». (ص٢٢٣).

وليس هناك من شك في أن هناك دارسين عرباً آخرين أشاروا إلى تأثر كنفاني بفوكنر، ومنهم الدكتور عبد الرحمن ياغي في كتابته عن غسان، وكان الدكتور يعتمد على كتاب رضوى عاشور المذكور (انظر كتابه: في النقد التطبيقي: مع روايات فلسطينية) (١٩٩٩) (ص١٧-٢٣).

ولم يقتصر هذا على الدارسين العرب، فالذين ترجموا كنفاني إلى اللغات الأوروبية وكتبوا عنه المقالات والدراسات توقفوا باستمرار، أمام تأثره بالأدب العالمي. وهنا يمكن أن يُشار إلى السويسري (هارتموت فيندرش) الذي نقل أكثر أعمال كنفاني إلى الألمانية، ولم يكتف بالنقل، بل كتب المقالات والدراسات كتب (فيندرش) مقالاً عن «عائد إلى حيفا» تحت عنوان «دائرة الطباشير القوقازية بالعربية»، وأنجز عام ١٩٩٤ دراسة، نشرت عام ١٩٩٥ في كتاب عنوانه «رجال تحت الشمس القاتلة»، أنجز دراسة عنوانها: «وليم

فوكنر في الأدب العربي الحديث: الفلسطيني غسان كنفاني مثالاً». وقد جاءت الدراسة في ثلاث عشرة صفحة، أشار في بدايتها إلى مقولة كنفاني حول إشارة النقاد لتأثره بفوكنر، معتمداً على النص الأصلي الذي نشر في الهدف وعلى كتاب رضوى عاشور، وقد ناقش (فيندرش) النقاط التالية:

تغير منظور القص، أسطرة المكان، تيار الوعي المونولوج الداخلي، الأسلوب الأدبي، دور المرأة، الظمأ الجنسي (الزنا)، وأخيراً الخاصية اللغوية الأسلوبية. ولم يغفل أيضاً الإشارة إلى الساعة والملاحظة المهمة التي أتى عليها، وكان أشار إليها الناصرة بطريقة ما، أن (فوكنر) و(جويس) لم يخترعا أسلوب تيار الوعي. لقد طوراه لأنه كان موجوداً من قبل.

هل سرق كنفاني، إذن فوكنر؟

لقد أشار الذين أتوا على فكرة تأثر كنفاني بفوكنر إلى ظاهرة التأثر، أتوا عليها في حياته وبعد استشهاده، وذكروا أن كنفاني لم يكن ينفي هذا، بل إنه اعترف بذلك، كما أوضحوا إلى أن التأثر كان تارة ذا مظهر إيجابي وطوراً ذا مظهر سلبي، ولكنهم لم يقولوا إن كنفاني سرق فوكنر. وهذا ما قاله الكاتب الأردني محمد سناجله، على ذمة صحيفة «الحياة الجديدة» (رام الله)، ٢٣/٣/ ٢٠٠٠.

وما من شك في أن السارق يخفي على الآخرين أنه سارق، وهذا ما لم يفعله كنفاني الذي أقر بتأثره بفوكنر.

وعلى العموم فإن كنفاني في نتاجه لم يتأثر بفوكنر وحسب، لقد تأثر، بوعي منه أو دون وعي، وهو يكتب «رجال تحت الشمس» (١٩٦٣) و«عائد إلى حيفا» (١٩٦٩) و«أم سعد» (١٩٦٩) بالأدب الصهيوني وبالأدب العالمي. تأثر برواية (ليون أوريس) المشهورة (اكسورس)، وبمسرحية (برتولد بريخت) الكاتب الألماني «دائرة الطباشير القوقازية»، ولا أظن أن «الأم» لـ (مكسيم غوركي) الروسي كانت غائبة عن ذهنه وهو يكتب «أم سعد».

لقد لفت انتباهي وأنا أقرأ «عائد إلى حيفا» و(اكسورس) في الوقت نفسه، مدى تأثر كنفاني برواية (ليون أوريس) الكاتب الأمريكي الصهيوني النزعة. وقد كان كنفاني قد قرأ هذه الرواية وكتب عنها، وما من شك في أن قراءات المرء تترك أثراً في كتاباته، وشتان ما بين التأثر والسرقة، ولا أظن أن كنفاني أو درويش أو بسيسو سرقوا (فوكنر) و(حانوخ ليفين) و(ياعيل دايان). والأصح أن نقول إنهم قرؤوا هؤلاء وردّوا عليهم أو تأثروا بهم، وهذا ما أنجزته في دراستي «الأديب الفلسطيني والأدب الصهيوني» (١٩٩٣)، ومن قبل في كتابي «اليهود في الأدب الفلسطيني» (١٩٩١ بالألمانية/ ١٩٩٢ بالعربية) ●●

كما ابتدأنا

محمد كتيله

(١)

يا الممتد فيَّ
من صحرائي الوحيدة
إلى مائي في الضفة الأخيرة
يا السائر إليكَ

* * *

أشتهي موتاً
بين رمشي
لكي أمشي
على جثتي بقدميكَ

* * *

يا الغافي في بؤبؤي
حلماً يشاطئ خاصرتي
حلماً يقتلع أظافري بأصابعك
نورساً يرتب رحيلي
إلى القارات الأكيدة بجناحيكَ

* * *

يا التائه على خارطة جسدي الجديدة
الآن أمضي
إلى نهاية مشواري وبعضي
لأمشّط شعرك على رأسي
لأرتب ملاحة وجهي
وحقيبتي الصغيرة
فصفّقني بيديكَ

* * *

فكَّ قيدك عن قيدي
ها أنا أحاول رسم ظلٍ لوجهي
لكي أخرج من وجهك
حافي القدمين
كما ابتدأنا
عند أول صبح يبكيني ليبقيني
وشماً مطرزاً بأسماء جدي الأول
كيف حاولت بين عينيكَ

* * *

(٢)

يا القادم إليَّ
اعزفني وتراً بأصابعي النحاسية
واقصيني شمالاً أو درباً تائهاً
استدر بي على مهلٍ
ابتسمني جنوباً
تجدني ذهباً طينياً بمعصميكَ

* * *

أفلتني من ساعديَّ
لعلي أضفر مرثيتي الأخيرة
من حطب الأقحوان
من رائحة الميرمية
من سواقي الزعفران
خذني مني
من شهدائي
من بوليسك
من جديد أعراسك
واكشف غطاءك عني
لاتلمني
لاتجرجرني إليك

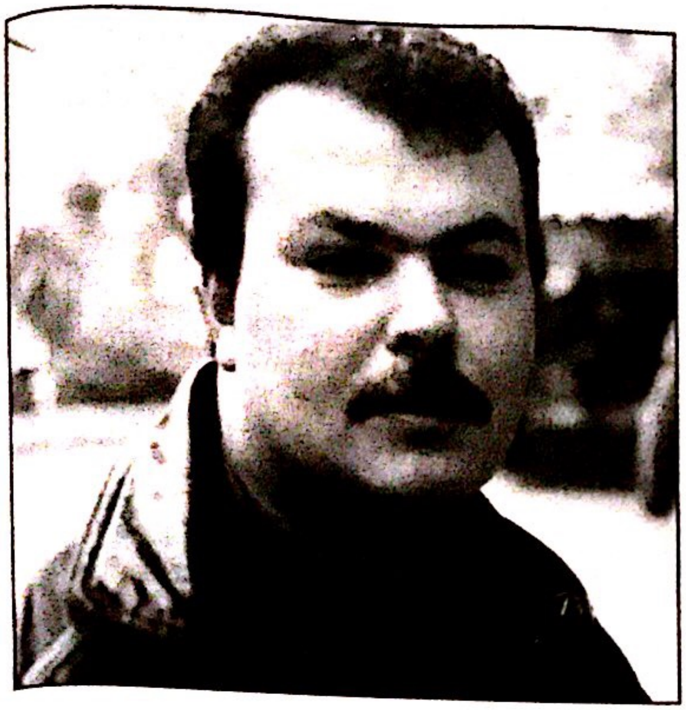
* * *

أعطني اسماً
لايسمّيني
علّه يليق بجنازتي
دعني أرفع قبعتي لأراك
جدني في قميصي
خذ جميع ألواني
واترك حصاني يصهل في شفتيَّ
ليزغرد في شفتيك

* * *

(٣)

يا الزمن الموحل في معصميَّ
كيف سكنت أعراسي
وأسرجت موّالي
وتركت دمك ودمي
في راحتي
بالأمس سمعتك تغنّي بحنجرتي
واليوم أرى أغانيك تمشي في صوتي
هذا هو نشيدي
من أول برتقالة في حيفا
تهجّت حكايات جدّتي
إلى المنفى فينا



الشاعر المغربي إدريس علوش لـ "الهدف":

قصيدة النثر رهان المستقبل

حاوره الشاعر عبد القادر لقاح

● أنت شاعر تنتمي إلى جيل الثمانينات بالمغرب، ما هي إنطباعاتك - بكل صراحة، حول هذا الجيل الشعري..؟

×× لابأس أن نتفق أولاً على فرضية أساسية تتعلق بكون العقد الثمانيني لايعد في أول المطاف، وآخره أيضاً سوى لبنة في عقود الشعر المغربي الحديث واستمراراً وامتداداً لتحديث القصيدة المغربية.

والأساسي، والثابت في هذا العقد الإبداعي هو كونه منفتحاً على التجارب المتعددة والمختلفة، ومغامراً حين يتعلق الأمر بالتجريب، والتجريد، والابتكار.. ثم أنه العقد الذي تعددت فيه الأسماء إلى حد يصعب حصرها أو تحديدها، فهو عقد لامتناهي، وعدد إصداراته رغم قلتها فهي مهمة وأساسية بالنسبة للمسار العام للقصيدة المغربية الحديثة، ناهيك عن ديناميته فيما يخص اللقاءات والأنشطة والقراءات..

ومجمل هذه المحطات، تؤكد بشكل أو بآخر أنه عقد فاعل ومنتج، ومبدع ومشاغب، وفي اعتقادي الشخصي أن العقد التسعيني هو الآخر يحمل جانباً كبيراً من نفس السمات التي راكمها العقد الثمانيني، وهذا مؤشر إيجابي يدعو للإنتشاء ساعة التفكر في مستقبل القصيدة المغربية الحديثة..

● صرح الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي مؤخراً بأنه لايفهم أدونيس، وبأن أدونيس شاعر من الدرجة العاشرة، ما رأيك..؟

×× تصريحات الشعراء لايمكن أن تعتمد كمرجع للاستشهاد، ربما للإستئناس قد تنفع مرة، وقد تخيب مرات، عموماً هذا النوع من التصريح لايلزم سوى صاحبه. وبالنسبة لي فالشاعر أدونيس مبدع عميق في النص والنظرية، وعبد الوهاب البياتي شاعر متجذر بالتجربة والحياة، وهما شاعران بامتياز.. وأستحضر هنا مقولة لناقد عراقي (نسيت اسمه الآن) «ليس هناك شاعر أحسن من شاعر، كل ما هنالك نص أحسن من نص». ومن يدري قد أصرح غداً أن الشاعر عبد القادر لقاح شاعر يوناني؟!! فهل أتوقع من الناس أن يصدقوني..؟، إن تصريحات الشعراء سوريالية مثل وجودهم في غالب الأحيان..!!

● ألاحظ شخصياً انتشار عدوى الغموض في الشعر المغربي، ألا تتفق معي بأن هذه الحالة مرضية في الشعر، ذلك أن أغلب النصوص الشعرية لاتعبر عن رؤية معينة للعالم، أو فلسفة في الحياة، فهي في آخر المطاف مجرد رصف مجاني للألفاظ حتى لتغدو النصوص والحالة هذه أشبه ما يكون بجثث هامدة لاتدب فيها حياة. ما رأيك..؟

×× في حدود قراءاتي للمتن الشعري المغربي الحديث، لم تستوقفني هذه «العدوى»، صحيح أنه هنالك مستويات عديدة ومتعددة لصياغة النص الشعري المغربي الحديث بما فيها المستوى التجريدي، والتجريبي، والرمزي.. لكن هذه النصوص لاتقصد الغموض في شيء، وإن كان مبناها ومعناها يقودان أحياناً إلى ذلك، وأحياناً أخرى فـ «اللامعنى» هو «المعنى» وهذا التصور بدوره يعبر عن فلسفة للحياة، وعن رؤية جد محددة للعالم الذي قد يكون الغموض ذاته هو مجمل تصوراتها..

إذن لهذا الاعتبار السالف الذكر، اسمح لي أن أختلف معك،

ما يشبه السيرة

- إدريس علوش
- من مواليد أصيلة (١٩٦٤)
- عضو اتحاد كتاب المغرب
- رئيس جمعية قدماء تلاميذ ثانوية الإمام الأصيلي موسم ١٩٩٩/٩٨
- ينشر أعماله الإبداعية في الصحافة الوطنية، وبعض المجلات العربية
- صدر له «الطفل البحري» ١٩٩٥ عن دار قرضبة - البيضاء
- صدر له «دفتر الموتى» ١٩٩٨ عن دار قرضبة - البيضاء
- يصدر مجلة تعنى بالشعر وقضاياه تحمل اسم «مرافئ»

وربما جذرياً، فهذه الحالة ليست مرضية، والعكس هو الصحيح بل صحية إذا كانت الخلفية الأساس منها هو صياغة نص مغاير ومنفرد ومتفرد وجديد وحداثي..

● تبدع في إطار «قصيدة النثر»، هل تعتقد أن هذا النمط الشعري استطاع أن يرسخ تقاليده وقوانينه في التربة الشعرية العربية، إذا كان لكل فن قوانين تحكمه، فما هي قوانين «قصيدة النثر»؟

×× حتى أكون واضحاً معك ومع نفسي فقصيدة النثر لاتزال تعرف حالات قصوى من الاستثناء في علاقتها مع الإبداع الشعري العربي، إنها حالة إبداعية خاصة، وما تراهن عليه هذه القصيدة هو أن تستقل بذاتها كجنس أدبي له خصوصيته وتقنياته وأغراضه.. لكن هل وصلت قصيدة النثر إلى مستوى هذا الحلم المشتهى؟ أعتقد أن هناك إرهاصات أولى حقيقية مستلهمة من متن تراكمات النصوص التي يبدو مريدوها، وهم بالمناسبة يتزايدون بشكل مستمر ومتواصل، ويحلو لـ «محمود درويش» أن يلقبهم بالمليشيات وهي تسمية محببة عندي..

إنه رهان المستقبل، وهي (أقصد قصيدة النثر) بصدد تحدٍ إبداعي كبير، خصوصاً في واقع مثل واقعنا العربي الذي لاتزال «الأبيسية» تؤطر تفاصيله حتى في المسألة الإبداعية وللأسف، في الوقت الذي يجب أن يكون فيه الإبداع منفلتاً ومتمرداً ومنفتحاً على اللامتناهي وبلا حدود أو قيود مسبقة.. الحرية هي التربة المحفزة لقصيدة النثر، وربما «اللاقانون» هو قانونها، لكن الإبداع الخالص هو محتواها الروحي..

● أنت خلافاً للعديد من شعراء «قصيدة النثر» تحرص على الدلالة، ويبدو لي أنك، وهذا أمر معهود، تحسن اقتناص المعاني الطريفة، البديعة الأخاذة، هل هذا اختيار شعري لديك..؟

×× ليس اختياراً شعرياً فحسب، بل ربما قدراً إبداعياً.. فعالمي الشعري مستمد من اليومي والمعيشي ومن تفاصيلهما، وأحياناً الدقيقة فأنا أحرص كل الحرص في أن أكون شاهداً على كل ما يحوم حولي من تراكمات، وصور، ومشاهد، وذبذبات، والذي ليس منه بدّ أحياناً.. ثم إني أعتبر الكتابة بالمقروء استنساخاً مشوهاً لاجتهادات الآخرين، الكتابة بالمعيش أهم، وهي خلاصة إبداعية محمودة..

● صدر لك ديوان «الطفل البحري» ثم «كتاب الموتى» والذي الاحظه - مبدئياً - هيمنة محور البحر في الديوان الأول مقابل هيمنة محور الموت في الديوان الثاني، فهل أنت شاعر محاور Themes؟

×× هذا صحيح إلى حد بعيد، فعادة ما تجمع مجموعاتي الشعرية «موضوعة» محددة، وكما أشرت في سؤالك فمجموعتي الأولى «الطفل البحري» (١٩٩٥) مفعمة برغبات البحر، ودهشة الموج، و«دفتر الموتى» (١٩٩٨) آهل بأسرار وتفاصيل الموتى.. غير أن تجميع النصوص في باقة شعرية، تأتي كمرحلة نهائية بعد عملية صياغة النصوص بشكل إبداعي، ولايكون المبدع/ الشاعر في وعيه أو لا وعيه بصدد التهيؤ لمجموعة محددة تصب في هذا المحور «الموضوعة» أو ذاك، بقدر ما يكون بصدد الانتاج. لكن مسألة المحاور تبدو مهمة، على الأقل توحي أن المبدع لايشتغل من فراغ..●●

معرض فني بمناسبة يوم الأسير



- بمبادرة من أصدقاء الأسرى السوريين في السجون الإسرائيلية، تم افتتاح معرض هو الأول من نوعه في سوريا معرض للأسير الفنان السوري عاصم الولي - وقام بافتتاحه سيادة العماد أول مصطفى طلاس في ٣/٢٦ وذلك في صالة المعارض في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق. وتضمن المعرض العديد من الأعمال الزيتية ورسوم الكاريكاتير للأسير الفنان، الذي مازال في الأسر إلى يومنا هذا بعد مضي ١٦ عاماً على اعتقاله، وشمل المعرض العديد من الأعمال اليدوية التي صنعت داخل المعتقلات الإسرائيلية، وهي جزء بسيط من الأعمال اليدوية المتوفرة والتي قام بها الأسرى السوريين والعرب داخل الأسر، فكان المعرض من أهم التظاهرات الثقافية النضالية لدعم صمود الأسير وللمطالبة بإطلاق سراحهم حيث وقّع زوار المعرض على رسائل موجهة إلى الأمم المتحدة وأمينها العام تشرح الظروف الصعبة التي يمر بها الأسرى السوريين والعرب - والمعاناة اليومية والتعذيب المستمر من المحتل الاسرائيلي، وضرورة العمل السريع لتوفير الحرية لهم جميعاً، وعدد الذين وقعوا على هذه الرسائل خلال أيام المعرض يفوق ١٢٠٠ زائر..

ونشير إلى أن الأعمال التي ضمها المعرض سواء الخاصة بالأسير عاصم الولي أو باقي الأسرى، أكدت على صمود الأسير ونضاله اليومي ضد آلة القمع الإسرائيلي.. وحالة الحرمان والبعد.. ودللت بكل التفاصيل والرموز على أن الأسير وضمن عالمه الخاص يبذل محاولات دائمة للتواصل مع كل الأشياء الجميلة والحميمة خارج الأسوار. وعدم نسيانه رغم حالة المعاناة والألم ضمن ظروف الاعتقال كل المناسبات والأحداث التي تجري خارج الأسوار فعبّر عن ذلك بصورة مؤثرة من خلال أعماله المتنوعة.. نشير إلى أن المعرض استمر أكثر من أسبوع وذلك بسبب الاقبال الكبير من قبل المواطنين الذين عبروا عن إعجابهم وتأثرهم الكبير.. ويعمل الآن منظمو المعرض «أصدقاء الأسرى السوريين» وهم أسرى محررين، لنقل المعرض إلى لبنان بعد توجيه الدعوات من قبل جهات لبنانية هذا عدا عن التفكير بالتنقل به لبعض المحافظات السورية تلبية لدعوات كثيرة وصلت إليهم ●●

جان جنيه في حوارات وشهادات جديدة

٧٦ عاماً من التشرد إلى التمرد والثورة

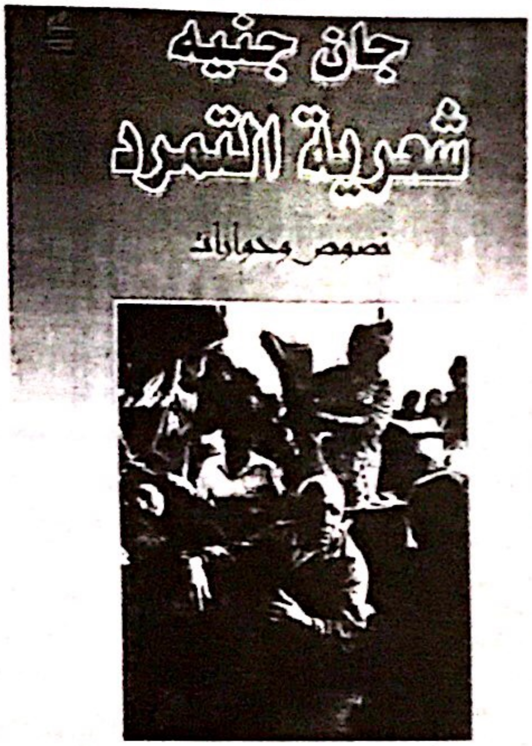
عمر شبانه

بعد مرور اثني عشر عاماً على غيابه (نيسان ١٩٩٦)، مايزال جان جينيه يثير الجدل والسجال والاهتمام. ومايزال حاضراً بقوة مغامرته ونضالاته التي تشمل الأدب والحياة والسياسة في إطار ذي علاقات واسعة وغنية في سلسلة «حوارات» صدر كتاب يضم ما لم ينشر من كتابات هذا المبدع الكبير، ومن حوارات معه تقدمه لقرائه في صورة تكرس صورته الشهيرة وتمنحه المزيد من العمق والصدقية. والكتاب في عنوان «شعرية التمرد» في هذه الكتابات والحوارات التي أعدها وقدمها وترجم بعضها الدكتور مالك سليمان، وساهم في كتابتها وترجمتها عدد من مثقفي وكتّاب العالم. فجاء هذا الكتاب راسماً لصورة تزيل كثيراً من غموض والتباسات المواقف التي أحاطت جان جينيه طوال حياته التي بدأت شاذة منذ ولادته (١٩١٠).

سيكون من الصعب عرض هذا الكم من الكتابة في صفحات قليلة. وسيكون الخيار هو التوقف عند أبرز عناصر سيرة جينيه من خلال كتاباته وكتابات الآخرين عنه أو محاوراتهم معه. ومن أبرز هذه الكتابات والمحاورات ما كتب عنه الكاتب الإسباني خوان غويتسولو، وكذلك الحوار المطوّل الذي أجراه معه الكاتب المسرحي العربي الراحل سعد الله ونوس، والروائي المغربي طاهر بن جلون، والروائي المغربي محمد شكري، ودراسة مالك سلمان.. الخ.

أكثر ما يهمنا في هذا الكتاب هو المواقف التي تمايز بها جينيه تجاه العلاقة بين الغرب الاستعماري المضطهد، وبين العالم الثالث عموماً والعرب خصوصاً. وبتحديد أكبر تجاه القضية الفلسطينية التي احتلت حيزاً زمنياً واهتماماً كبيرين في مسيرة هذا الكاتب، وعلى مدى ما يقارب عشرين عاماً (منذ ١٩٦٨ تحديداً).

في هذا الإطار ثمة ملامح قوية يمكن العثور عليها في كتابات جينيه حيناً، وفي حوار الراحل ونوس معه حيناً آخر. ففي كتاباته، نكتشف كيف كان، مثل كل من في الغرب، لايعرف شيئاً عن القضية الفلسطينية، إلى أن اكتشف - مع



إعداد وتقديم:
د. مالك سلمان

الفرنسيين - في أيار ١٩٦٨ «أن الشعب الفلسطيني شعب جميل وثوري أيضاً»، بعد أن كان ينظر إليه على أنه ليس سوى مجموعة من «اللاجئين». وكان اكتشافه منطلقاً لعلاقة مع «المقاومة» الفلسطينية، ولرفض الارتباط بموقف المثقفين الفرنسيين المنتمين إلى اليسار بسبب العقلنة التي جسدت طريقة هؤلاء المثقفين في النظر إلى الصراع العربي الصهيوني، منطلقين من نظرة يهودية - مسيحية في التعقلن! وقد تجلى هذا الرفض في موقفه من سارتر وسيمون دي بوفوار فيما يخص موقف كل منهما من العرب.

وقد ذهب جينيه في تأييده للفلسطينيين - بعد تأييده لعدد من حركات التحرر في العالم - إلى حدود تأييد العمل الفدائي «الإرهابي» بكل أشكاله، إذ يقول إنه «حتى لو لم تكن فعالية الفدائي مباشرة، فإنها تبقى، على أية حال، شحنة ثورية حية».

ولعل في رؤية جينيه إلى «إسرائيل» على أنها «الغرب مزروعاً في بلادكم» - كما يقول، هذه تجعل جينيه يكرر أنه لايستطيع إلا أن يكون «مع الحركات التي تحارب الغرب وتحاول زعزعته». ولهذا فإن أجمل وأفضل أيامه - حسب قوله - هي التي ترك فيها الكتاب بحثاً عن الفعالية الحية واليومية التي وجدها في قواعد الفهود السود والفدائيين الفلسطينيين. وهو يفرّق - بالتأكيد - بين قواعد الفدائيين ومكاتب القيادات. ففي القواعد توجد الثورة الحقيقية، فـ «القواعد تجيش بالصحة والإبداع. أما حين تصعد السلالم، وتدخل المكاتب، فإن نبض الثورة يخفت، وشرايينها تتكلس». وبهذه الرؤية التي لم يمتلكها سوى قلة ممن عاشوا مناخات الثورة، يجسد جينيه ملامح موقفه الثوري الذي ينطوي على قدر من النقد الحاد للسلبيات بقدر ما ينطوي على تأييده الايجابيات، سواء على صعيد الشعار أو على مستوى الممارسة. فهو ينتقد شعار «فلسطين علمانية ديمقراطية» لأنه لامعنى له، ومستحيل أيضاً. فهذا الشعار «يفترض قيام دولة تتأسس على وجود ثلاث مجموعات دينية: إسلامية، مسيحية، يهودية، ولكل واحدة من هذه المجموعات حقوق مساوية للمجموعتين الأخريين. إن هذه العلمانية هي ميثاق تعايش أو تسامح بين الأديان الثلاثة، وليست بناءً سياسياً يتجاوز الدين بغية تنظيم المجتمع على أساس مادي وعلمي...». ثم يخاطب محاوره (سعد الله ونوس) قائلاً بحدّة: «أنا متأكد أن أحد دوافع صياغة هذا الشعار إرضاء الغرب - إبراز حسن النية، والتأكيد على أنكم لاتريدون رمي اليهود في البحر. إنكم ماتزالون تواجهون العدو على الأرض التي يختارها لكم، ووفق منطق المواجهة الذي يفرضه. في البداية جرّكم إلى نقاشات عقيمة حول «الحق التاريخي» واضطركم لأن تدخلوا في دوامة تاريخ يعود إلى ما قبل ألفي عام...».

وفي مجال آخر، ينتقد جينيه الموقف من المرأة في الثورة الفلسطينية، فهو يرى أن «في كل ثورة، المرأة هي دائماً العنصر الأكثر جذرية». ويروي حكاية المرأة التي كانت تصرخ بزوجها وتقول له: «انظر.. هو ذا رجل أجنبي يأتي.. ليساند الثورة، في حين ماتزال أنت الفلسطيني تتردد في حمل السلاح والانضمام إلى الفدائيين...» ورغم ذلك فإن المرأة لم تحظ بالحرية الكاملة، فقد شهد جينيه كيف يدافع مسؤول فلسطيني عن الرأي الذي يرى أن الشروط البيولوجية والتاريخية لاتسمح للمرأة سوى بحرية جزئية.. وكيف كانت زوجة هذا المسؤول تجلس دون أن تشارك

في النقاش، فيعلن جينيه للحاضرين «أليس غريباً وشاذاً أن نناقش مصير المرأة ونقرر نوع وكمية الحرية التي ينبغي أن تعطى لها، ومعنا إمرأة لم يحاول أحد أن يسألها رأيها في هذا الموضوع!».

[جينيه العنصري]

وفي إطار الموقف من الغرب عموماً، ومن العرق الأوروبي تحديداً، لايتورع جينيه عن الإجابة على سؤال ونوس «ما الذي دفعك لمساندة المقاومة وتبني قضيتها؟» بالقول «لأنني عرقي». وحين يتساءل ونوس مندهشاً، يوضح جان «نعم، أنا عرقي ضد البيض. أو بكلمة أدق، أنا ضد البيض. ولهذا فمن الطبيعي أن أكون مع كل العروق الأخرى المضطَهَدة..» والإجابة نفسها ستكون ماثلة عندما يسأله الفرنسي بيير ديمرون «ما هي الأسباب التي تقرّبك من السود إلى هذا الحد؟»، إذ قال: «إن ما جعلني أشعر بالقرب منهم.. هو الحقد الذي يكنّونه لعالم البيض..». ولذلك فإن ثورة جينيه على الغرب تبلغ به أن يقول لسعد الله ونوس «اسمع.. ما ينبغي، وما اعتقدت دائماً أن علي أن أفعله، هو تدمير الغرب وحضارته». فهو يرى تشابهاً بين الفلسطينيين وبين السود من جهة، وبين موقف الغرب وموقف أمريكا من جهة ثانية. لذا فهو مع الفلسطينيين والسود ضد الغرب وأمريكا.

ويذهب جينيه إلى حد اعتبار الحضارة الغربية قد «تمّت وانتهت. إنها الآن في طور الاحتضار أو الموت» ويسأل ونوس مستنكراً «ماذا يمكن أن تتعلموا ـ يقصد العرب ـ من حضارة تحتضر أو تموت؟!». ويتابع القول «للأسف، لاحظت أنكم موشومون بالثقافة الغربية وأنكم تشكلون أنفسكم وفقاً للنموذج الأوروبي. وهذا يعني أن الغرب اصطادكم في فخه الماكر»، ويضيف إن هزيمة حزيران، التي هي كما ـ يراها ـ هزيمة أمام «الأوروبي» جاءت «لتعمق شعوركم بالنقص، وتضاعف حاجتكم لأن تعكس لكم المرآة ـ مرآة الغرب ـ صورة مُرْضية.. حين يصبح العدو.. مرآتكم ومرجعكم في الثقافة والسلوك والطموح، فإني أتساءل أين وكيف تأملون هزيمته!». ثم يؤكد أن «شرط قيام أي ثورة جذرية هو أن تكسروا المرآة الغربية على المستويين الثقافي والنفسي».

ونختم هذه المواقف الثورية تجاه القضايا عموماً، والقضية الفلسطينية خصوصاً، بما رواه الكاتب السوري (اللواء في الجيش سابقاً) غازي أبو عقل (أحد المساهمين في ترجمة مقالات هذا الكاتب) عن علاقته مع جينيه الذي التقاه صيف عام ١٩٧٠، وكيف أنه بعد لقاءات يومية في مقهى «الديبلومات» تغيّب ثلاثة أيام، وحين عاد روى للكاتب (أبو عقل) كيف ذهب مع مجموعة من الفدائيين إلى داخل الأرض المحتلة، فيقول أبو عقل «لعله كان يريد أن يتأكد من أن رجال المقاومة يغامرون بالدخول إلى ماوراء خطوط العدو..».

ويمكن أن نروي الكثير من مواقف جينيه على هذا الصعيد، لكن من الأفضل لو نوسع قوس هذه القراءة لتشمل النظر إلى جوانب أخرى، ذات أهمية، من حياة هذا المبدع المتمرد.

[اللص والمبدع]

كيف تسنى لهذا الجانح والمتشرد، الذي عاش على الرصيف وفي السجون أكثر مما أمضى في دور الرعاية الاجتماعية، أن يغدو هذا الكاتب المبدع المتمرد على الأطر والتقاليد؟

إنه تكوين على درجة كبيرة من الخصوصية، وإنها لمعجزة أن تكون هذه العبقرية امتداداً وثمرة من ثمار تلك الطفولة البائسة والشباب الموغل في اللصوصية.

لكن محطات حياة جينيه الغنية بالرحلات والمغامرات بسرقة الكتب مثل ما يسرق قطعة قماش أو اختلاس مبلغ صغير من الموسيقي الضرير رينيه دوبوكسويل الذي عُهد إليه تعليمه.. وبالهرب من الجندية مراراً، أو بالتزوير أو سوى ذلك من أعمال التمرد والتشرد.. كل هذه المحطات تجعل من جينيه شخصاً غير عادي وطاقة لم يكن سهلاً استيعابها أو تفريغها، فما كان سوى الكتابة ومواصلة المغامرة ثم الكتابة ثم الدخول في أشكال جديدة من الرفض بدأت تظهر في أعماله المسرحية وكتاباته النثرية.

نسبياً، بدأ جينيه الكتابة متأخراً، فقد نشر كتابه الأول بعد بلوغه الثلاثين. وفي عام ١٩٤٣ وقّع أول عقد كمؤلف، مع بول موريان (أمين سر كوكتو) لنشر ثلاث روايات وقصيدة وخمس مسرحيات..! وقد أخذت أعماله تتوالى بدءاً من هذا العام، وكانت «يوميات لص» أهم ما حقق شهرته قبل أن تظهر «الخادمتان» و«الشرفة» و«السود» و«السواتر» وفي تلك الأثناء، كان الكاتب يعمل على نصوص وكتابات درامية وشعرية و.. صحفية، وأخذ طريقه نحو الثراء من مبيعات كتبه.. غير أن ثروته لم تكن تزداد مادام يجد دروباً يصرفها فيها، إذ تلاحظ صحفية أن ممتلكاته لم تكن تزيد على «سبعة كتب، ساعة منبّه، سترة جلدية، ثلاثة قمصان، بدلة كاملة، وحقيبة» وتسأله هل «هذا كل ما عندك» فيقول لها «ولماذا يكون عندي أكثر من ذلك؟» فهو إذن، المشرد الزاهد رغم ثرائه، «ماذا تريدينني أن أفعل بالأشياء وبالترف؟» يقول. إنه يقود حياته إلى النسيان، حيث «معظم الأشياء التي نفعلها لها إبهام حالة التشرد وغموضها وبلادتها. ومن النادر أن نبذل جهداً واعياً لتجاوز البلادة هذه. أنا أتجاوزها بالكتابة».

[أسطورة القرن]

يقول الكاتب الاسباني غويتسولو إن معرفة جينيه معرفة حميمة هي مغامرة لايخرج منها أحد سالماً. وقد كان صاحب التأثير الأوحد في مرحلة النضج ـ على المستوى الأخلاقي. فقد تعلم غويتسولو أن يتخلص من غروره الأول، ومن كل وصولية سياسية، ومن الرغبة في الظهور في الحياة الأدبية، ليعكف على ما هو أكثر جوهرية وصعوبة وهو «امتلاك تجربة أدبية خاصة، واكتساب ذاتيتي الحقة».

هذا الأنموذج المتميز ابداعياً وحياتياً (على أصعدة الحياة كافة). كان يوصف بأن «حياته هي إحدى أساطير هذا القرن (العشرين في الأدب)»، وقد نحتاج إلى سنوات طويلة، وعمل شاق، حتى نصل إلى أعماق هذا الرجل، سواء عبر سلوكه أو قراءاته وكتاباته وانتقاداته اللاذعة. ففي تطرفه وحدّة مواقفه ما يؤشر إلى التربية والثقافة اللتين تلقاهما ذاتياً، وبإرادة لاتكل. ويتجلى هذا التطرف في مواقف سياسية حيناً وثقافية حيناً آخر.

ولقد قاده تطرفه، الذي رأينا كيف تجلى في رفض العرق الأبيض، إلى رفض الايديولوجيات والأحزاب، وما يدعى بالفن الثوري.. إلى حد شطب كاتب كبير في حجم بريشت، إذ يرى أن هذا الكاتب المسرحي قد ضيع وقته بشكل بائس، ويقول «إذا نحّينا «أوبرا القروش الثلاثة»، وهي عمله الفني الوحيد، فإنه لم يقل أي شيء جديد» و«كل ما تضمنته مؤلفاته إنما هو تكرار لأفكار باتت معروفة وواضحة بعد ثورة أكتوبر. أي أنه اجترّ ما هو متحقق عملياً وفعلياً. ومهمة الفنان الأصيل هي تجاوز ما هو قائم». ينطلق جينيه في رؤيته هذه إلى بريشت من مقولة «الشيوعي لايمكن أن يكون فناناً» التي أطلقها في حواره مع سعد الله ونوس، ويرى ونوس أن يأس جينيه ـ وليس عدم وعيه التاريخي فهو واع جداً ـ هو الذي يجعله لايرى في العمل الفني إلا جمالية شبه مجانية لاتبالي بالأحياء. وهو (يأسه) الذي يجعله يتناوب بين الكتابة والفعالية، وما يجعله يرى في تفاؤل بريشت عظمة زائفة. ويكشف ونوس النقاب عن الهم الاجتماعي والسياسي بوصفه أرضية أعمال جينيه الأساسية، ولكن من خلال رؤية يائسة.

هذه أبرز ملامح المتشرد، المغامر، المبدع، صاحب القضايا الإنسانية، ولم نشأ هنا أن نقف عند شذوذه الجنسي، فقد أشبعه هو بحثاً. وسيجد قارئ الكتاب إجابات على أسئلة كثيرة في هذا الإطار، سواء في الحوارات أو في الشهادات أو في الدراسات، وسوف يجد القارئ أيضاً كم هو جديد هذا الكتاب وجدير بالقراءة والتعمق في أسئلته التي يطرحها ●●

صدر عن دار كنعان، سلسلة «حوارات»، ٣٥٠ صفحة وملحق صور، ١٩٩٨.

عزف منفرد

دراما الإبهار ليست تطوّراً

الصخب الذي أثير في وسائل الإعلام حول تطور الدراما السورية، ومنافستها للدراما المصرية، بدأ يخفت في الآونة الأخيرة، خاصة بعد أن حازت الأعمال الدرامية المصرية في الموسم الماضي على اهتمام الجمهور العربي. والمثال الساطع على ذلك هو مسلسل «أم كلثوم» الذي تابعه الجمهور العربي بشغف خلال بثه في أكثر من محطة أرضية وفضائية عربية. وإذا كان الرأي القائل: بأن المنافسة الإبداعية الشريفة على مستوى الشكل والمضمون بين الدرامات العربية هي مسألة مشروعة تسهم في تطوير الدراما العربية عموماً، فإن ما شاهدناه من نجاح نسبي للدراما المصرية في الموسم الماضي لهو دليل على صحة هذا الرأي. لكن هذا الأمر يظل يعكس مستوى من مستويات الحوار حول هذه المسألة التي تحتاج إلى مزيدٍ من التأمل والحوار حولها وخاصة من قبل المعنيين بهذا الأمر من مخرجين وفنانين وعاملين في حقل الدراما، وذلك بعيداً عن الحساسيات ومحاولات الإقصاء التي يقوم بها البعض في مواجهة البعض الآخر. وفي هذا الإطار لو حاولنا التدقيق في الحديث عن التطور الحاصل في الدراما السورية، نرى أن ذلك التطور لم يحصل كنتيجة لدراسة واعية، ومتأنية. أو كمحصلة لبحوث مجدية للوصول إلى المستوى المطلوب في هذا المضمار.. وإنما كحاجة لمواكبة وسائل الإعلام، التي شهدت تطورات متسارعة على المستوى التقني لم يسبق لها مثيل من قبل.

أمام هذه الحالة، بات المتلقي الذي يمسك بجهاز التحكم عن بعد، يقلّب القنوات، ويدقق ويمحص، وينتقي، وبالتالي صار إقناعه بمشاهدة هذا العمل دون سواه مسألة أكثر صعوبة وذلك بغض النظر عن مستوى التطور الفكري والثقافي الذي هو الغاية الأهم بالنسبة للدراما.

هذا يدفعنا إلى الاستنتاج بأن تطوّر الدراما بشكلها الحقيقي يحتاج إلى تراكم الخبرات والمواهب والإبداعات لتؤسس تقاليد عريقة في هذا المجال، والمسألة ليست طفرة تعتمد على مواهب أفراد يظهر بريقها في أعمال متفرقة هنا وهناك، من خلال إبهار المشاهد باستخدام بعض التقنيات الحديثة من أجل الإبهار فقط.

علي الكردي

«وحل» غسان الجباعي



عن وزارة الثقافة السورية صدرت مجموعة قصصية جديدة للكاتب والمخرج المسرحي غسان الجباعي بعنوان: «الوحل» وقد سبق أن أصدر الجباعي عن وزارة الثقافة مجموعة قصصية بعنوان «أصابع الموز» أثارت في حينه إعجاب النقاد وأخذ عنها المخرج السينمائي محمد ملص فكرة فيلمه الروائي القصير: «فوق الرمل.. تحت الشمس» الذي يحمل عنوان قصة من قصص المجموعة.

تحتوي المجموعة الجديدة على ثماني قصص قصيرة تحمل عناوين لافتة مثل: زرقة الرخام أو الوحل، وحديقة الحيوانات أو بالونات يا بابا، ورقة سورية خضراء أو مفتاح بابي الحديدي، دمشق أو اربطوا الأحزمة من فضلكم، جبل الشيخ أو الكبش، العريف الأبله أو العلم، قربان أو زورق نحاسي.. سجن عدرا أو المرأة التي تشبه أمي الخ..

تقع المجموعة في ٩٥ صفحة من القطع المتوسط

ورود على جبل الشيخ



صدر حديثاً عن دار الشجرة للنشر والتوزيع مجموعة قصصية بعنوان: «ورود على جبل الشيخ» للكاتب إبراهيم سلمان عمري، ومما جاء في كلمة الناشر: ثمة خيط خفي يوحد الألم في ورود على جبل الشيخ.. الألم الذي سرعان ما يرسم أفقاً تمتد سحاباته لتروي الأنفس العطشى للارض والحب والأمل..

ورود على جبل الشيخ.. نشيد يطلقه العمري.. فيغدو صوته صدىً لنداء المدن والقرى حالماً بأغنية مشتهاة..

تقع المجموعة في ٨٤ صفحة من القطع المتوسط، والغلاف للفنان زكريا شريف.

بابل والكتاب المقدس

صدر عن دار كنعان للدراسات والنشر بدمشق كتاب جديد بعنوان: «بابل والكتاب المقدس»/ محاورات مع: إيلين مونساكريه للكاتب جان بوتيرو وترجمة: روز مخلوف.

يلقي جان بوتيرو في هذا الكتاب الضوء على أصول الحضارة الغربية من بابل إلى التوراة واليونان وهو بذلك يعتبر أن سكان ما بين النهرين هم أقدم أسلاف يمكن الرجوع إليهم لأول ثقافة عرفت تاريخياً. تلك التي ابتدعت الكتابة منذ خمسة آلاف سنة.

وتبدو أحاديث بوتيرو هذه كجولة عبر حياته وأعماله، وتفصح عن اتساع ميدان معرفته، فبعد دراسته لتاريخ أقدم الأديان السماوية، وبحثه في العهد القديم واللغات التوراتية اقتنع بأن وراء التوراة نفسه تاريخاً طويلاً وثرياً تشهد عليه عشرات الألوف من اللويحات الصلصالية التي كتبت بالخط المسماري.

يضع بوتيرو بين أيدينا من خلال هذه الأحاديث، علماً بأنه ثمرة عمل دؤوب، لكنه مع ذلك بعيد عن الجفاف، فعبر نظرته الماكرة التي يلقيها باستمرار على عمله وعلى نفسه وعلى الآخرين ينقل إلينا بتواضع، معرفة جد عظيمة مما يحيل لكتاب مفعم بالمتعة والفائدة في آن.

القيمة والمعيار



مساهمة نقدية جديدة، يضيفها الناقد الفلسطيني المعروف يوسف سامي اليوسف في كتابه الجديد «القيمة والمعيار»/ مساهمة في نظرية الشعر، الصادر حديثاً عن دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع في سورية.

في هذه الفترة، حيث يُلحظ تراجع الشعر عن غيره من فنون الأدب، وحيث يتحدث الكثيرون عن أزمة الشعر، أو شعر الأزمة، تأتي هذه المساهمة من الناقد «اليوسف».

ويجيء هذا الكتاب ليصب جهده كله على الإسهام في إنماء نظرية للشعر، همُّها الأول أن ترسخ معياراً نقدياً، يصلح للاستعمال التطبيقي، ولاسيما لدى إصدار حكم القيمة الناضج، وهو يحاول أن يقترح منهجاً لدِناً يتسم بالمرونة، أو يتحرك فوق هامش حر وفسيح بعض الشيء. كما أن هذا الكتاب يسعى إلى إضفاء أهمية قصوى على الذائقة الفنية التي لاتقبل الاندراج إلا في المناهج الحرة، المهمومة بروح الإنسان وبقيمتها الأزلية.

دعوة

احتفالاً بأعياد نيسان:

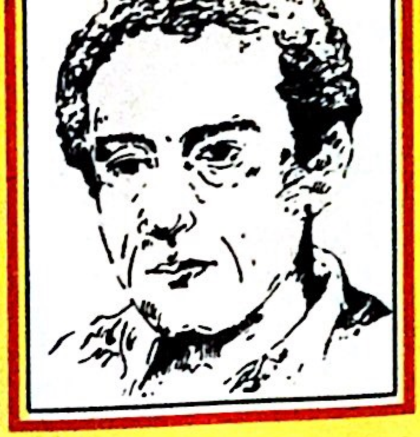
النادي العربي الفلسطيني بالتعاون مع فرع اتحاد الكتّاب العرب يدعوكم لحضور:

(غزو ثقافي أم حوار ثقافات)

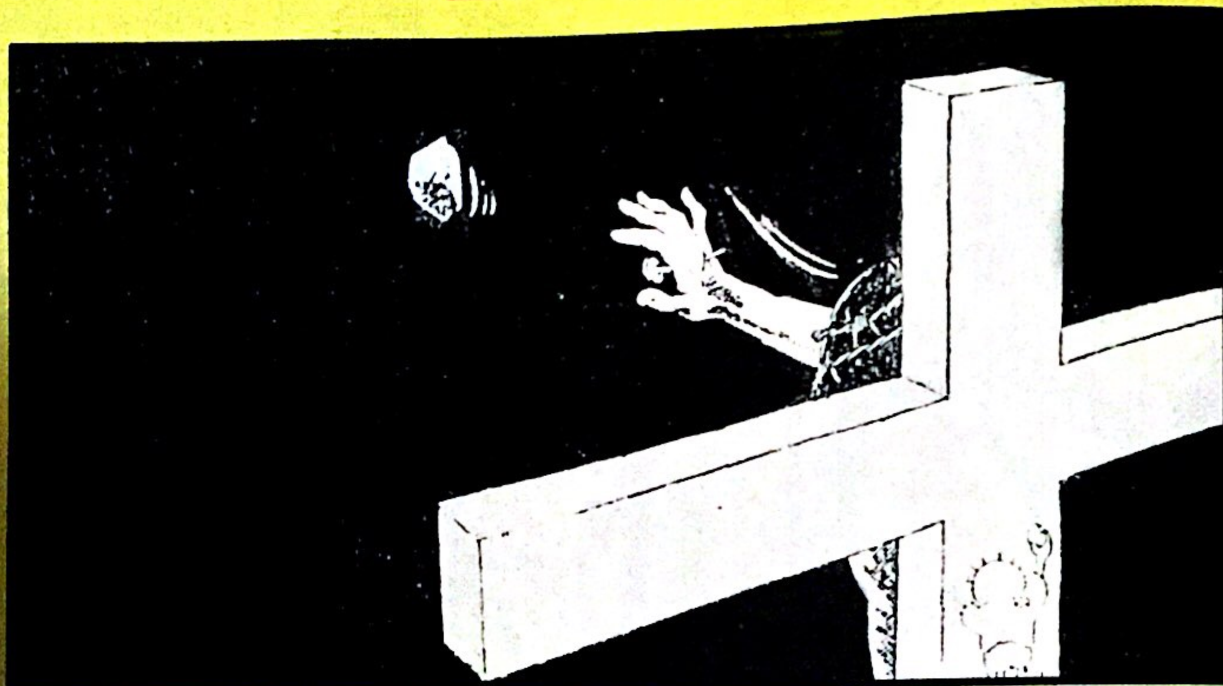
للباحث عدنان عويد

وذلك في السابعة مساءً من يوم الاثنين ٢٠٠٠/٤/٢٤ في مقر النادي - شارع اسكندرون.

الدعوة عامة



ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم





الآن «الهدف» على الانترنت

ـ العنوان الرئيسي مع هيئة التحرير: E-mail : alhadaf@syberia.net.lb =

ـ عنوان الموقع على الشبكة: http://www. crosswinds.net/lebanon/~hadaff =

http://www.crosswinds.Palestine/~hadaff =

ـ البريد الالكتروني: E-mail : alhadf@lebanon.crosswinds.net =

١٧ نيسان يوم الأسير الفلسطيني

كلنا أسرى



كلنا أسرى لأن خيرتنا في معتقلات الاحتلال - مئات الأبطال يعيشون خلف القضبان - حيث الشروط غير الإنسانية وانتهاك دائم وصارخ لأبسط حقوق الإنسان وممارسات وتعذيب تتنافى مع كل الاتفاقيات والمواثيق الدولية.. إن جملة هذه الظروف تدفع الأسير للصمود والتحدي.. والحلم الذي لاينتهي والأمل الدائم والمتجدد بغدٍ مشرق سيأتي لامحالة.. وهناك خلف الأسوار يحلو للأسير الجلوس مطولاً قرب «الكوة» الصغيرة التي تعلو حائط الزنزانة.. وتبدأ الطقوس بالتحديق إلى البعيد وتبدأ «الكوة» بالاتساع شيئاً فشيئاً لتصل الأسير بالعالم الخارجي حيث كل الأشياء الجميلة التي حرم منها.. وللذاكرة هناك دور عظيم فتنشط بتحريض من الواقع المؤلم المحيط بنا فتستعيد كل الصور والوجوه والأماكن حتى أدق التفاصيل الصغيرة والجميلة. اللقاءات، المناسبات، الأسماء، الكثير من كل ذلك وأكثر يشكل ذخيرة الأسير لمواجهة الواقع بكل أشكاله القبيحة وأدواته وشروطه غير الإنسانية.

إنهم الشموع التي لاتنطفئ في ظلام السجن.. ولكي لاننساهم ولتبقى الذاكرة الوطنية مشتعلة دوماً جاء يوم الأسير الفلسطيني في ١٧ نيسان من كل عامٍ استذكاراً لكل الشهداء مع وقف التنفيذ!! في قبور للأحياء وكان يوم الأسير تعبيراً صادقاً من كل الشرفاء ليس للتضامن والتعاطف «الهزيل» بل هو صرخة موجعة توجه إلى ما تبقى من الضمائر الحية ولإيقاظ النائم والبليد منها في كل أنحاء العالم.. صرخة بدأت ولن تنتهي إلا بتحرير آخر أسير عربي من سجون ومعتقلات النازيين الجدد. إنني مازلت هناك حيث رفاقي الأحباء نحلم سوياً بحرية الغد الجميل وسعادة لاتنتهي ونواجه ظلم السجان بإرادة قوية نناضل للحفاظ على كرامتنا والتمسك بإنسانيتنا.. ونخوض العديد من معارك الأمعاء الخاوية «الإضرابات المفتوحة عن الطعام» ونؤكد تواصلنا مع شعبنا بكل الأشكال والوسائل.

وفي نيسان من كل عام لن ننسى أسبوع التضامن مع الأسير العربي والذي يشمل العديد من الأنشطة والفعاليات الداعمة في فلسطين المحتلة ولبنان وسوريا والجولان المحتل.. وكلنا أمل أن تمتد هذه الفعاليات إلى ساحات أخرى.. نطيّر في هذه المناسبة أروع التحيات إلى جميع الأسرى الأبطال والتحيات إلى أمهات الأسرى في كل مكان.. إنهم أحرار رغم القيد وأنف السجان.. الحرية لأسرى الحرية.. والسجن للسجان والقتلة والمجرمين.

الأسير المحرر علي محمد «أمجد»